شعائر الله

وأخلاقيات الحج والعمرة

الكاتبة
ناهد الخراشي

دار الكتاب الحديث

طبعة ثالثة منقحة ومزيدة

1424 هـ / 2004 م



القاهرة	94 شارع عباس العقاد – مدينة نصر – القاهرة ص.ب 7579 الرمز البريدي 11762 هاتف : 2752990 (202 00) فاكس : 2752992 (202 00) بريد إلكتروني : dkh_cairo@yahoo.com
الكويت	شارع الهلالي ، برج الصديق ص.ب : 22754 – 13088 الصفاة هاتف رقم 2460634 (965 00) فاكس رقم : 2460628 (965 00) بريد إلكتروني : ktbhades@ncc.moc.kw
الجزائر	B. P. No 061 – Draria Wilaya d'Alger– Lot C no 34 – Draria Tel&Fax(21)353055 Tel(21)354105 E-mail dkhadith@hotmail.com

رقم الإيداع	1999 /16483
ISBN	977-5758-48-3


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧) ﴾

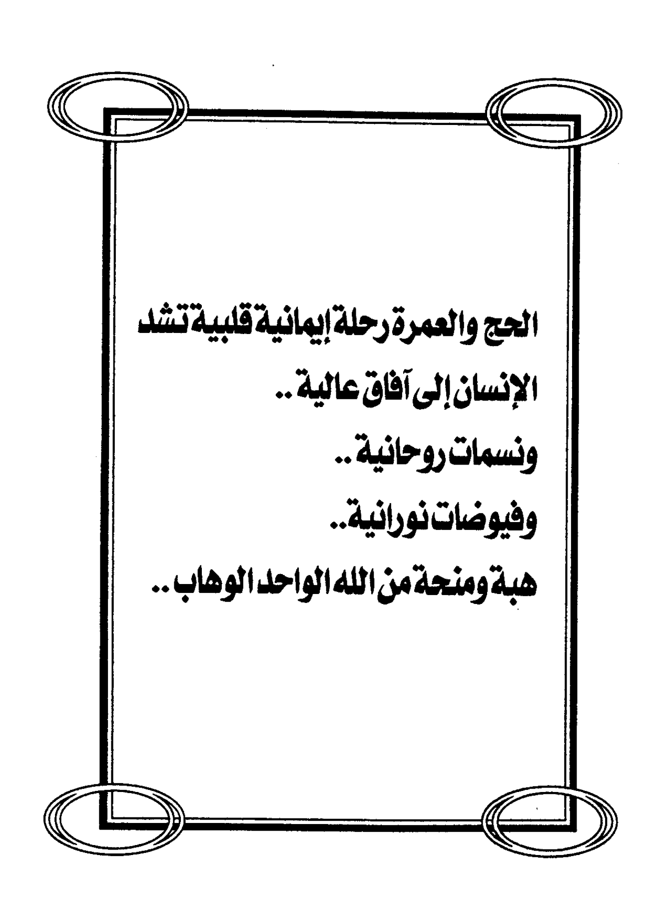
(آل عمران: ٩٧)

لبيك اللهم لبيك

لبيك لا شريك لك .. لبيك

إن الحمد والنعمة لك والملك

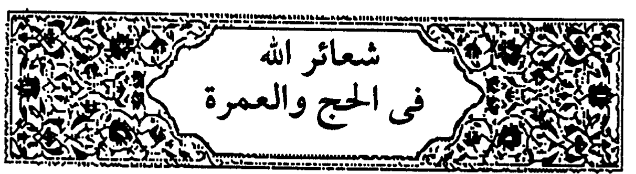
لا شريك لك .. لبيك


الحج والعمرة رحلة إيمانية قلبية تشد
الإنسان إلى آفاق عالية ..
ونسمات روحانية ..
وفيوضات نورانية..
هبة ومنحة من الله الواحد الوهاب ..

إهداء

- إلى كل من يحج بيت الله ...
- إلى كل من يعظم شعائر الله ...
- إلى كل من يقف على عرفات باكيًا ...
مستغفرا سائلا المولى الرضا والرحمة والمغفرة ...
- إلى كل من شغله الله عمن سواه ...
- أهدى هذا الكتاب حبًا فى الله .. ولله.





وشعائر الله هى المناسك أو الأعمال التى يقوم بها العبد طاعة لأمر الله وتقربًا إليه عز وجل.

قال الله تعالى: «وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لله» (البقرة:١٩٦)

وقال رسول الله ﷺ: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»

والعمرة شرعا تعنى زيارة بيت الله الحرام فى أى وقت من أوقات العام دون الوقوف بعرفة، أما الحج فهو زيارة بيت الله الحرام بقصد أداء أعمال محددة فى أوقات محددة وتبدأ مناسك الحج من يوم التروية ـ الثامن من ذى الحجة وتستمر حتى نهاية أيام عيد الأضحى المبارك.

ومن المناسك المشتركة فى الحج والعمرة، الطواف حول الكعبة سبعة أشواط حيث إن تحية الكعبة هى الطواف بها وبالصفا والمروة إذ إنهما من شعائر الله.

قال الله تعالى:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ من شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١٥٨)

وفى هذا الجدول إيضاح بإيجاز عن مناسك الحج والعمرة كما أوضحها لنا الله عز وجل، وأخذناها عن رسول الله ﷺ وبعض الأدعية المستحبة فى كل نسك كمرشد، ودليل للحاج والمعتمر.

مقدمة

بسم الله الذى لا إله إلا هو وحده لاشريك له .. له وحده نسلم، وبه وحده نؤمن .. منه وحده الفضل، وله وحده الحمد.. وإليه وحده يرجع الأمر كله .. والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من أشرقت الدنيا بنور وجهه الكريم واهتدى به أمر الدنيا والدين وانقشعت برسالته ظلمات الجهل واهتدى بهديه التابعون إلى يوم الدين محمد رسول الله وخاتم النبيين ﷺ.

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله. بإذن الله جل جلاله وأمره وحده .. وبمشيئته هو وحده .. وبهدايته سبحانه وحده .. وبتوفيق منه وحده .. وبعونه وحده.. وبفضله تعالى هو وحده .. كتبت هذا الكتاب.

بأمر الله .. وبسلطان منه وحده.

هناك كتب يعد لها الكاتب الإعداد التام.

ويدرجها فى خطة كتاباته ....

وهناك كتب تكون وليدة اللحظة.

لم يجهز لها الكاتب، ولم تكن فى الحسبان أن تخرج إلى



النور، ولم يدرجها على الإطلاق فى خطة كتاباته.. ولكن يشاء الله عز وجل أن تكون؛ وما شاء فعل.

بإذن الله عز وجل يفتح سبحانه الباب أمام القلب المحب له ويدعوه ويدفعه إلى الاجتهاد والمجاهدة، ويهديه إلى سبله فينال الأجر والثواب.

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ما أجمل لمسات حنان الله .. وما أعظم آيات حبه ... هو سبحانه الذى يأذن ومشيئته نافذة .. ثم هو عز وجل الذى يفتح وينير الطريق ويهدى من يشاء إلى سبيله فيصبح ما يشاء أمرًا واقعًا، وحقيقة شاهدة بنفسها ثم يمنح الثواب والأجر لمن جاهد وعمل عملا صالحًا.

لله وحده الأمر من قبل ومن بعد، وهو سبحانه وحده المتفضل أولا وأخيرًا، وهو جل جلاله وحده المنعم فى البداية والنهاية .. ونحن جميعًا نحيا فى ظلال رحمته وحنانه وحبه ونعمه التى لاتُعد ولا تُحصى.

ومع إشراقات الحب الربانى .. ونسمات الحنان الإلهى يُفتح باب الطريق إلى الله ينير للعبد سبيل القرب منه عز وجل.

وأحسب هذا الكتاب من النوع الثانى .. فلم يكن مدرجًا فى خطة كتاباتى أن أكتب كتابًا عن رحلة الحج بل كنت قد بدأت



فى الإعـداد لكتـاب آخر، ووصلت تقـريبًـا إلى منتـصف طريق الإعداد، وفجـأة ودون أية مقدمات وجـدت نفسى أترك ما أكـتبه مدفوعـة بكل كيانى وجوارحى وحواسـى أن أكتب هذا الكتاب: «شعائر الله وأخلاقيات الحج والعمرة» وربما دفعنى إلى ذلك سؤال هام استحوذ على فكرى وهو: «كيـف يحافظ الإنسان على حجه فى رحلة العمر الباقية؟».

ولأن التـأمل فى طريق الله فى النهـاية لابد وأن يثـمر ثمـرة تنتفع بها العـقول المتدبرة والقلوب المحبـة لله فكانت حصيلة هذه التأملات هذا الكتاب «شعائر الله وأخلاقيات الحج والعمرة» الذى أدعو الله أن ينفع به المسلمين والمسلمات ويرتكز على مناسك الحج فى ظلال التوجـيه الربانى، وحج رسول الله ﷺ كنمـوذج وقدوة وأسوة حسنة لنا فى كل زمان ومكان، ثم الإعداد لرحلة الحج من الصفـاء النفسى وطـهارة القلب ونقـاء الفؤاد والوجـدان، وسبل وآداب شعائر الحج وكيف أن تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب، ثم التعرض إلى كيفية المحـافظة على الحج فى رحلة العمر الباقية، والدروس المستفادة منه، ومواصفات الحج المبرور الذى يرضى عنه الله عز وجل ويكون ثوابه الجنة.

وهذا كله هو فضل الله العظيم ..

ولا أنسب فضلا إلى نفسى .. فليس لى الفضل فى شىء..



ففى البداية والنهاية الفضل من الله . . وإلى الله . . وبيد الله.

ولو لم يكن فضل الله، وعون الله، وهداية الله، ومشيئة الله، وسلطان الله، وأمر الله وإذنه وإرادته، وتوفيق الله، ونور الله، وعطاء الله وفيض الله، ورحمة الله. . لما استطعت أن أسطر حرفًا واحدًا.

﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

ولولم يكن حب الله وحنانه . . ورعاية الله وعنايته ما استطعت أن أخرج هذا العمل إلى النور. . ولولا الله ما اهتدينا إلى طريق عبادته. ولا تعلمنا تعظيم شعائره.

سبحانه هو الوهاب ذو الفضل العظيم.

أسأل الله عز وجل العفو والعافية عن أى سهو أو نسيان أو خطأ.

وأسأله تبارك وتعالى أن يتقبل هذا الكتاب خالصًا مخلصًا لوجهه الكريم، وأن يتمّ نعمته عليَّ بأن يخرج هذا العمل - الذى كتب بحروف صادقة - إلى النور، وأن يكون ثمرة نافعة وبذرة طيبة لكل إنسان مؤمن يحب الله . . سالكًا طريقه ساعيًا إلى رضاه . . طامعًا فى مغفرته ورحمته وثوابه.

ناهد عبدالعال الخراشى



الفصل الأول



التوجيه الرباني
وحج رسول الله ﷺ

وجّهنا الله عز وجل فى الكثير من آياته الكريمة إلى المناسك التى يرضاها منا وتقربنا إليه جل جلاله واستجابة لدعوة سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . .

قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾ (البقرة).

والمناسك هى أسلوب العبادة الذى يرضاه الله منا، وشعائر الحج من العبادات التى أرشدنا الله سبحانه وتعالى إليها.

والحج هو الركن الخامس من أركان الإسلام فرضه الله على المستطيع الذى يملك المال والصحة والقدرة على أدائه، وهو قصد مكة لأداء عبادة الطواف والسعى والوقوف بعرفة وسائر المناسك استجابة لأمر الله وابتغاء مرضاته.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)﴾ [آل عمران: ٩٧].



لقد طلب الله سبحانه وتعالى من إبراهيم عليه السلام أن يؤذن فى الناس بالحج فقال جل جلاله:

﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ [الحج: ٢٧].

وقف إبراهيم عليه السلام فى هذا المكان المقفر المجدب الذى لا ماء فيه ولا زرع، لم يكن هناك أحد يسمعه، ولكنه أذن. . لأن الله سبحانه وتعالى قال له: «عليك الأذان وعلينا البلاغ»، وكان من طلاقة قدرة الله أن بلغت هذه الدعوة مسامع كل من كتب الله له أداء هذه الفريضة الجليلة منذ أذن إبراهيم عليه السلام وإلى أن تقوم القيامة.

لقد جعل الله سبحانه وتعالى بيته الحرام قبلة للمؤمن يتجه إليه كل يوم خمس مرات فى الصلاة. وهكذا شاءت إرادة الله أن ينشغل فؤاد المؤمن بهذا البيت وهو بعيد عنه إلى أن يؤدى فريضة الحج ليتم بها نعمة الإيمان بالله.

وبحلول موسم الحج من كل عام تمتلئ القلوب شوقا للذهاب إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، وزيارة قبر رسول الله ﷺ لما فى ذلك من متعة روحية لاتعادلها متعة أخرى، ومن إحساس بالقرب من الله ومن انشغال بالله سبحانه وتعالى عن خلقه جميعا سواء كانوا أهلا أو أقارب أو عشيرة أو غير ذلك من ذوى القربى.



إن المسافر لأداء فريضة الحج يترك كل شيء ويتفرغ لعبادة الله. يترك أهله .. وماله .. وأصدقائه وسلطانه .. إنه يخرج من الحياة التى ألفها ليتقرب من الله فى صلاة وطواف وتلبية وذكر وتسبيح، لايكل ولايمل .. يخضع لله قلبًا وقالبًا وتزداد طاعته لربه كل يوم .. فتتنزل الرحمات على القلوب فتسيل الدموع من العيون ويشعر الإنسان أن الدنيا كلها بما فيها ومن فيها قد تضاءلت أمام القرب من الله ورضاه.

والحاج يترك كل شيء يألفه، وهو فى رحلته يتجرد من أشياء كثيرة ويلتزم الأدب مع الكون كله .. فلا يقترب من شجرة ليقطع أغصانها، ومع الطير فلا يصيده، ويتأدب مع الخلق فلا يفسد حجه بالجدال مصداقا لقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وهكذا يعلمنا الله عز وجل كيف يكون السلوك فى الحج ويرشدنا إلى الفضيلة وإلى الخلق القويم فى هذه الرحلة المباركة فلا جدال ولا تأفف ولا اعتراض ولا شجار.

والحج هو العبادة الوحيدة التى حددها الله سبحانه وتعالى زمانًا ومكانًا، أما الزمان: فهو يوم التاسع من ذى الحجة. والمكان: هو عرفات. فلا يحق لك أن تؤدى مناسك الحج فى أى شهر من



شهور العام، ولا أن تقف فى يوم التاسع من ذى الحجة فى مكان غير عرفات طالما أنك هناك لأداء فريضة الحج.

وبأداء فريضة الحج استوفيت أركان الإسلام الخمسة . . أى أتممت واستوفيت كل أركان الدين . . استوفيت الصلاة بذهابك إلى البيت الحرام لتصلى فيه . . والحج فيه زكاة حيث أنك تزكى بمالك ووقتك وبدنك فى آن واحد فى سبيل الله والحج فيه من الصوم لأنك تبتعد عن شهوات الجسد مادمت محرمًا.

والحج فيه أولا وقبل كل شىء شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، لأنك تأتى تلبية لأمر الله سبحانه وتعالى وطاعة له عز وجل وتقوم بمناسك الحج كما علّمها لنا رسول الله ﷺ.



يوم الوقوف العظيم

ويحيا الإنسان فى ظلال التوجيه الربانى الذى هداه إلى الحج الصحيح حيث عرّفنا رسول الله ﷺ أن الحج عرفة. والوقوف بعرفة هو ركن رئيسى من أركان الحج، والمقصود بالوقوف هو الحضور والوجود فى أى جزء من عرفة.

ويستحب فى هذا اليوم الصلاة وذكر الله وتلاوة القرآن الكريم والدعاء والاستغفار .. إنه يوم الرحمة، وفيه تنزل الرحمات والمغفرة الواسعة.

إن الحج يمر بمراحل مختلفة .. تبدأ باختيار الإيمان أولا .. وبالشهادة أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .. وبهذا الاختيار الإيمانى يدخل الإنسان فى نطاق التكليف الذى يشترك فيه كل المؤمنين بالله ورسوله ﷺ، من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا.

إن الإنسان باعتناقه الإسلام يدخل نفسه فى تكليف، فإذا أراد أن يحج أدخل نفسه فى تكليف آخر خاص بالحج، فإذا أراد أن يتم الحج - والحج عرفة - خرج من منطقة الحرم إلى منطقة خارج حدوده.

وإذا أردنا أن نحصر الأماكن المحرمة بالنسبة للحاج نجدها أربعة: المسجد الحرام، والبيت الحرام، والبلد الحرام، والمشعر الحرام - المزدلفة - الذى يتوقف عنده الحجاج وهم فى طريق عودتهم من عرفات .. ليجمعوا الجمار التى سيرجمون بها إبليس، ويصلون المغرب والعشاء فيها جمع تأخير قبل أن ينطلقوا إلى منى استعدادا لرمى الجمار، وإلى مكة لأداء طواف الإفاضة.

ويرشدنا الحق تبارك وتعالى إلى منسك آخر من مناسك الحج وهو عندما نتهى من الوقوف بعرفة ونخرج من عرفات نذكر الله عند المشعر الحرام مصداقًا لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٨].

ولنقف هنا وقفة إيمانية فى لحظات من التأمل والتفكر عند هذه الآية الكريمة التى يوجهنا فيها الله عز وجل إلى ذكره سبحانه عند المشعر الحرام .. إنها حقًا نعمة تستوجب الذكر وتستحق الشكر لله على أنه أنعم علينا بكل النعم التى نحيا فيها، وفتح لنا باب الدخول إلى عرفات وهيأ لنا الأسباب لننعم فى هذا اليوم بالتجليات الرحمانية والإشراقات الربانية وتفضل سبحانه علينا بنعمة الوقوف بعرفة حتى يكتمل حجنا ويتم نعمة الإيمان علينا



بهذا الحج المبارك؛ آملين أن يتقبله منا طامعين فـى رحمته ومغفرته ناشدين رضوانه وحبه.

أليس الوقوف فى عـرفات . . هو يوم الوقـوف العظيم حيث الأمن والسكينة . . والرحـمة والمغـفرة الواسعـة . . وآيات الحب الإلهى . . ولمسـات الحنان الربانى . . ونسـمـات الرضا ترفـرف عليك . .إنه يـوم تشـرق فـيـه أيهـا الحـاج وتمتلـئ بالنفـحـات النورانية. . إنهـا ومضات لاتنطـفئ . . وفيوضـات لاتنتهى. إنه ليوم عظيم لاتستطيع الأقلام أن تصفه، ولا القلوب أن تعبر عنه، وعما تنفعل به من أحاسيس جـياشة ونبضات وجدانية . . إنه يوم تذرف الدموع فيه وكأنها أنهـار دموع الطهر . دموع التخلص من الآثام والخطايا . . دمـوع الإحسـاس بالذنب والألم لما فعلتـه فى حق الله . . دموع تطهرك من ظلمك فى حق العباد.

إنه يوم النقاء والصفـاء فى أعلى درجاته وأعظم مراحله. . يوم يشـــعـر الحـاج المحب لله المخـلص فى طريق الله بالصـــمت. . بالهـدوء. . بأجنحة السـلام الروحى ترفـرف على قلبه ووجـدانه وكيانه. . سلام لم يحسه من قبـل، أمان لايعرف له وصفا يشعره بأن الدنيا صغيرة وكل مافيها من متاع إنما هو حقًا متاع الغرور.



إنه يوم تتخلص فيه من الكبر والتسلط والرياء وتتساوى فيه مع الخلق . . تشعر فيه بالرضا والقناعة . . تتنافس فيه المنافسة الشريفة ولايفوز إلا من أتى الله بقلب سليم.

أليس هذا الوقوف العظيم . . نعمة تستحق الشكر . . أليست نعمة تستوجب السجود حبًا وحمدًا وشكرًا لله عز وجل، ولو سجدت عمرك كله فلن يكفى هذا حمدًا وشكرًا لله.

واعلم أيها الحاج الذى دعاك الله للوقوف فى هذا اليوم العظيم أنه يدعوك لذكره عند المشعر الحرام ويقبل سجودك بإخلاص وحمدك وشكرك له على نعمته التى أنعمها عليك . . تقدسه . . وتسبح بحمده . . وإن دل كل هذا على شىء فإنما يدل ويثبت ويؤكد أنه حقًا الحج عرفة كما قال رسول الله ﷺ حيث جاءت دعوة الله بذكره سبحانه وحمده عند المشعر الحرام بعد الوقوف فى عرفات والإفاضة منها.

ومن أجمل لحظات الحمد؛ اللحظة التى تنوى فيها بقلب مخلص صادق ألا يقتصر حمدك لله بالقول فقط، وإنما أيضًا بالفعل والسلوك إلى الله حبًا له سبحانه وحمدًا وشكرًا له عزوجل حيث الارتقاء بالسلوك، والارتفاع فوق الأحداث، والتجاوز عن أخطاء البشر فى حقك.



وفى الحج تتجلى آيات الشكر وحمد الله سبحانه وتعالى حيث يكثر الحاج من حـمد الله عز وجل على نعمه وفـضله، ومن أكبر النعم التى يحـرص الحاج فـيها على شـكر الله نعمة الحـج حيث أعانه الله وفتح له باب الدعوة إلى الحج ووفقه وأعانه على الحج. ويشعر الحاج أنه مهما قدم من لمسات الحمد والشكر فلن يوفى الله حقه من الحـمد له سبحانه وتعالى على نعـمه وفضله ويصل إلى درجة العجـز عن حمد الله فيكثر من شكره وحـمده له عز وجل آملا طامعًا فى أن يتقبل منه إنه هو السميع العليم.

وفى الحج تكثر لحـظات الصفاء وخـاصة يوم عرفـة .. حيث يشعـر الحاج بالصـفاء .. والنقـاء .. والطهارة .. والسـمو .. فيشعـر بأنه أصبح إنسانا آخر .. صافيًا .. نقـيًا .. طاهرًا عبدًا نورانيًـا بأمـر الله .. يحـتـويه حـب الله .. ويملأه نور من عند الله.. فـيبكى وتـذرف الدموع وكـأنهـا أنهار .. دمـوع تغـسله وتطهـره وتنقيـه .. يبكى على كل مـافـعله من آثام وذنوب .. طامعًا فى رحمة الله ومغفرته ورضوانه.

وتبدأ هذه المشاعـر الصافية النورانية توجهه إلـى كل ماهو خير وفاضل وكريم.



وفى الحج تتجلى قمة العبـودية لله عز وجل، وعبودية الإنسان لله تقتضى أن نبتعد عن التعالى على بعضنا البعض .. فإذا ذهبنا إلى المسـجد فى الصـلاة .. فإن مـقـتضى المسـاواة أن من يصل أولا .. يجلس أولا، بصرف النظر عن منصبـه أو غناه أو فقره أو منزلته من الدنيا.

إن هذه المساواة فى العبودية لله تعالى تخرج التعالى من النفس وتجعلها تتواضع بحيث نحس جميعا أننا نقف أمام إلَـه لاينظر إلى صورنا وهيئتنا، وإنما ينظر إلى قلوبنا .. لأنهـا معيار التفاوت بين إنسان وآخر .. بغض النظر عن مستواه الفكرى أو المادى.

لكن الله سبحانه وتعالى يـريد أن يجعل هذه المساواة والخضوع ليس فى بيئـة محدودة، ولكن فى نطاق عـالمى، وفى بيئة عـالمية تجمع كـل أجناس الأرض .. الأمم القوية والأمم الضـعيـفة .. القوى وصـاحب الجاه والسلطـان، ومن لا يملك شيـئا .. هؤلاء لابد أن يكون لهم موقف يتناسب مع عظمة الحج.

إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يربى فينا مقومات هذا الموقف، يريد عـز وجل ألا يتـمـيز بـعضنا عـلى بعض فى الحج، لا فى



الهيئة، ولا فى الملبس . . يريدنا أن نقف أمامه متساوين كما خلقنا، وكما سنقف أمامه يوم القيامة.

فى هذه الرحلة المباركة تتعلم أيها الحاج كيف تتنازل عن كبريائك وسيادتك فى هذا الكون، ويجب أن تلتفت إلى ماتطالبك به هذه الشعيرة ولتدرك أن الجوهر فى الأمر . . فى الإيمان . . فى الطاعة.

إن أول شيء حين تبدأ رحلة الحج هو التلبية . . وهى استجابة لدعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما أذن فى الناس بالحج. ثم بعد ذلك عليك أن تتجرد من الكبر على غيرك، وأن تخلع الثياب الفاخرة وتهجر البيت المعد إعدادًا خاصًا لراحتك، والأولاد والأصدقاء والأقارب وجاهك ومالك.

كل هذا تتركه خلفك وتذهب إلى بيت الله الحرام متجردًا محرمًا، وتاركًا الدنيا وراء ظهرك ملبيًا لدعوة الله عز وجل طائعًا لأمره سبحانه ساعيا إلى تعظيم شعائره.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].



ونمضى فى رحاب التوجيه الربانى . . متمسكين به . . متبعين أمره عز وجل حيث قال سبحانه وتعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وهكذا يأمرنا الله عز وجل ويدعونا ويرشدنا ويعلمنا ويوجهنا إلى الاقتداء برسوله الكريم محمد ﷺ فى جميع أموره وشئون حياته وأن نأخذه مثلا أعلى وأسوة حسنة نقتدى بها متمسكين مؤمنين بالله عز وجل مقتدين بالأخلاق الكريمة التى دعانا الله عز وجل إلى التحلى بها آملين فى عونه ورحمته راجين أن يشملنا بلمسات حنانه الكبرى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠].

ما أجمل التوجيه الإلهى، وما أعظم الإرشاد الربانى الذى يعلمنا الخُلق الكريم، والأدب الحميد، والسلوك القويم، ويعرفنا إلى مايرضاه الله منا ومايرتضيه لنا ويرشدنا إلى سر السعادة القلبية وسبيل الحياة الآمنة المطمئنة.

ونطيع أمر الله فى أن نتخذ رسول الله وسلوكه قدوة ونموذجًا أمامنا ونتأمل كيف حج رسول الله ﷺ فنحتذى بسلوكياته وخلقه التى هى خلق القرآن التى تنير الطريق فى رحلة الحياة وترشدنا إلى أخلاقيات الحج وآدابه فى رحلة عبادة العمر.



حجة رسول الله ﷺ

مكث رسول الله ﷺ تسع سنوات لم يحج، فلما كانت السنة العاشرة من الهجرة أُذّن فى الناس أن الرسول ﷺ حاج فى عامه هذا، فقدم المدينة خلق كثيرون.. كلٌ يريد أن يأتم برسول الله ﷺ ويقتدى بمثل عمله.

وفى الخامس والعشرين من ذى القعدة من السنة العاشرة للهجرة سار النبى وأخذ نساءه جميعا معه، كل فى محفتها، وتبعه جمع زاخر من المسلمين جاءوا من أماكن متفرقة لأداء فريضة الحج مع رسول الله ﷺ تجمع بينهم المودة الصادقة والإخوة الإسلامية.. يذكر طائفة من المؤرخين أنه كان تسعين ألفا، ويذكر آخرون أنه كان أربعة ومائة ألف.. ساروا يحدوهم الإيمان وتملأ قلوبهم الغبطة الصادقة لسيرهم إلى بيت الله الحرام ويؤدون عنده فريضة الحج الأكبر.

فلما بلغوا ذا الحليفة نزلوا وأقاموا ليلتهم بها. فلما أصبحوا أحرم النبى وأحرم المسلمون معه، فلبس كل منهم إزاره ورداءه



وصاروا ينتظمهم جميعا زى واحد هو أبسط مايكون زيا، وقد حفظوا بذلك المساواة بأسمى معانيها وأبلغها. وتوجه محمد بكل قلبه إلى ربه ونادى ملبيًا والمسلمون من ورائه:

لبيك اللهم لبيك

لبيك لاشريك لك لبيك

إن الحمد والنعمة لك والملك

لاشريك لك . . لبيك

وتجاوبت الأودية والصحارى بهذا النداء تلبى كلها وتنادى بارئها مؤمنة عابدة. وانطلق الركب بألوفه وعشرات ألوفه يقطع الطريق بين مدينة الرسول ومدينة المسجد الحرام، وهو ينزل عند كل مسجد يؤدى فيه فرضه وهو يرفع الصوت بالتلبية طاعة لله وشكراً لنعمته وهو ينتظر يوم الحج الأكبر نافذ الصبر مشوق القلب ممتلئ الفؤاد لبيت الله هوى ومحبة، وصحارى شبه الجزيرة وجبالها وأوديتها وزروعها النضرة فى دهش مما تسمع وتتجاوب به أصداؤها مما لم تعرف قط قبل أن يباركها هذا النبي الكريم عبدالله ورسوله.

فلما بلغ القوم سرفا، وهى محلة فى الطريق بين مكة والمدينة،



قال محمد لأصحابه: من لم يكن منكم معه هدى فأحب أن يجعلها عمرة فليفعل، ومن كان معه هدى فلا.

وبلغ الحجيج مكة فى اليوم الرابع من ذى الحجة، فأسرع النبى والمسلمون من بعده إلى الكعبة، فاستلم الحجر الأسود فقبله، وطاف بالبيت سبعًا، هرول فى الثلاث الأولى منها، ومشى أربعا، ثم تقدم حتى أتى مقام إبراهيم فقرأ الآية الكريمة: ﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]

وبعد أن صلى عند مقام إبراهيم عاد فقبل الحجر الأسود مرة أخرى ثم خرج الرسول ﷺ من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ الآية الكريمة: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

وقال ابدأوا بما بدأ به الله، فبدأ بالصفا، فرقى عليه حتى رأى البيت واستقبل القبلة فوحد الله وكبره قائلا:

«لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده».

ثم نزل ﷺ إلى المروة حتى إذا انصبت قدمه فى بطن الوادى



يسعى حتى إذا صعدنا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة مثلما فعل على الصفا.

وفى الثامن من ذى الحجة يوم التروية. توجه الرسول ﷺ إلى منى، وأهل بالحج فنزل وصلى بالمسلمين الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس فأمر بخيمة ضربت له فى «نمرة» على مشارف عرفات.

وتوجه الرسول ﷺ إلى عرفات فنزل بها وأمر بناقته «القصواء» فرحلت ثم سار حتى أتى بطن الوادى وهناك نادى فى الناس خطبته الجامعة وهو يقف بين عبارة وأخرى قائلا بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أيها الناس: اسمعوا قولى فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبدا».

«أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وكحرمة شهركم هذا .. وأنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها. وإن كل ربا موضوع[1] ولكن لكم رؤوس أموالكم لاتَظلمون ولا تُظلمون.

---

(١) أى مهدر.



قضى الله أنه لاربا، وأن ربـا عباس بن عـبد المطلب مـوضوع كله.

وأن كل دم فى الجـاهلية مـوضوع، وأن أول دمـائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب.

أما بعد أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس، إن الـنسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كـفروا يحلونه عامًـا ويحرمـونه عامًا ليـواطئوا عدة مـاحرم الله فـيحلوا ماحرم الله ويحرموا ما أحل الله.

وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وأن عدة الشهـور عند الله اثنا عشر شهرا منهـا أربعة حرم، ثلاثة متوالية ورجب مفرد الذى بين جمادى وشعبان.

أما بعد أيـها الناس، فإن لكم على نسائكم حـقا ولهن عليكم حقًا، لكم عليهن ألا يوطئن فـرشكم أحدا تكرهونه، وعليهن ألا يأتين بفاحشة مبينة. فـإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربًا غيـر مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن



وكسوتهن بالمعروف. واستوصـوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان لايملكن لأنفـسـهن شـيـئًـا. وأنكم إنما أخـذتمـوهن بأمـانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله.

فاعقلوا أيها الناس قولى فـإنى قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا أمرًا بينا: كتاب الله وسنة رسوله.

أيها الناس اسـمعـوا قولى واعقلوه، تعلمـن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين أخوه فلا يحل لإمرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلاتظلمن أنفسكم.

اللهم هل بلغت: .. أجاب الناس من كل صوب: نعم فقال: «اللهم اشهد».

ولما أتم النبى خطابه نزل عن ناقته القصواء ، وأقام حتى صلى الظهر والعصر، ثم ركبها حتى الصخرات وهـناك تلا عليه الصلاة والسـلام على الناس قول الله تعـالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فلمـا سمـعـها أبو بكر بكى حـيث أحس أن النبى وقـد تمت رسالته قد دنا يومه الذى يلقى فيه ربه.

بقى الرسـول ﷺ بعـرفـات إلـى أن غـربت الشـمس وزالت



صفرتها ثم نزل إلى المزدلفة فصلى بالمسلمين المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين دون صلاة «نافلة» بينـها، ثم مكث بها حتى صلاة الفجر.

ثم ركب الرسول ﷺ ناقتـه «القصواء» حتى أتى المشـعر الحرام فاستقـبل القبلة فابتهل إلى الله داعيًـا ومكبرًا ومهللا، وروى عنه ﷺ أنه قال: أكثر دعائى ودعاء الأنبياء من قبلى بعرفة:

«لا إله إلا الله وحـده لاشريك له، له المـلك وله الحمـد وهو على كل شىء قدير».

حـتى إذا وصل رسـول الله ﷺ إلى منى وقف أسـفل الوادى وجـعل مكة إلى يسـاره ومنى إلى يمينه، وتوقف عن التلـبيـة ثم استـقبل جمـرة العقـبة الكبرى فـرماها، وهو على راحلتـه بسبع حصـوات بعـد طلوع الشمس، يكبـر مع رمى كل حصـاة طوال طريقه فى الحج.

ثم ذبح الرسول ﷺ بيده ثلاثة وستين ذبيحة ثم طلب من على ابن طالب كـرم الله وجهه أن يكمـل ذبح المائة ذبيحـة، وأمره أن يتصدق بلحـومها، وهذا فيه دليـل على استحباب تكثـير الهدى، وكان هدى النـبى ﷺ فى تلك السنة مئـة بدنة كأمـر خاص به،

وبعد ذبح الهدى حلق رأسه، وطلب من المسلمين أن يحلقوا أو يقصروا داعيا للمحلقين ثلاثا، وللمقصرين مرة واحدة.

وبات الرسول ﷺ فى منى ليالى أيام التشريق الثلاثة - ثانى وثالث ورابع أيام عيد الأضحى بعد رمى الجمرات - كما ورد فى حديث السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها قالت:

«أفاض الرسول ﷺ من آخر يومه - أى يوم النحر بعد أن صلى الظهر - ثم رجع إلى منى فمكث بها ليالى أيام التشريق يرمى الجمرات الثلاث كل يوم بعد زوال الشمس - عند الظهر - كل جمرة بسبع حصوات يكبر مع كل حصاة، ويقف عند الجمرة الأولى وعند الثانية، فيظل القيام والتضرع ويرمى الثالثة - جمرة العقبة - فلا يقف عندها».

وأذن الرسول ﷺ فى أصحابه بالرحيل والعودة إلى المدينة وجعل آخر عهده بالبيت الحرام طواف الوداع قبل الصبح، قبل أن يغادر مكة المكرمة عائداً إلى المدينة لآخر مرة.

ومما تقدم عرضه رأينا كيف أتم رسول الله ﷺ حجه .. هذا الحج الذى يسميه بعضهم حجة الوداع، وآخرون حجة البلاغ، وغيرهم حجة الإسلام.



وهى فى الحق ذلك كله، فقد كانت حجة الوداع رأى فيها محمد مكة والبيت الحرام للمرة الأخيرة، وكانت حجة الإسلام. . أكمل الله فيها للناس دينه، وأتم عليهم نعمته، وكانت حجة البلاغ . . أتم النبى فيها بلاغه للناس ما أمره الله ببلاغه، وما محمد إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون.

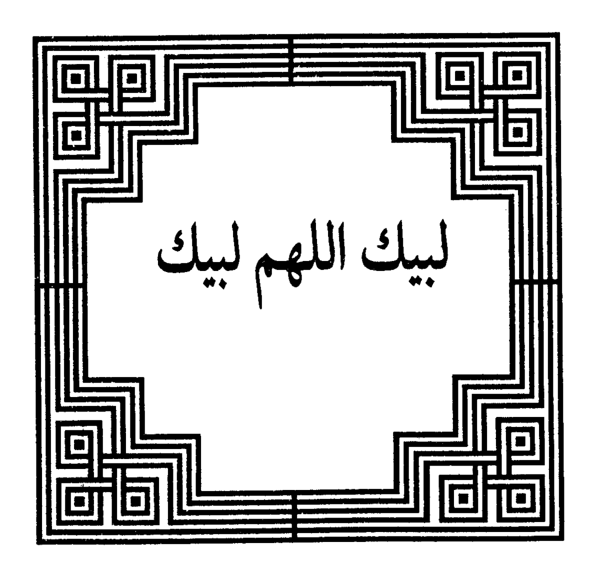
وهكذا علمنا رسول الله ﷺ شعائر الحج، وعنه أخذنا مناسك الله التى يرضاها منا ويرتضيها لنا سبحانه، وعرفنا كيف نحج إلى بيت الله الحرام فتتم نعمة الإيمان علينا بأداء فريضة الحج.

والحمد لله الواحد . . لا إله إلا هو الذى أكمل لنا ديننا، وأتم علينا نعمته، ورضى لنا الإسلام دينًا.





الفصل الثاني



«لبيك اللهم لبيك ..

لبيك لاشريك لك لبيك ..

إن الحمد والنعمة لك والملك ..

لاشريك لك .. لبيك».

بهذه التلبية يلبى العبد المؤمن نداء الدعوة الربانية . . فالحج مؤتمر ربانى إنسانى، دعا الله فيه عباده المؤمنين.

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨]



الحج

والحج هو زيارة بيت الله الحرام فى مكة بقصد أداء أعمال محددة فى وقت محدد من بينها الإحرام والطواف والسعى والوقوف بعرفة ورمى الجمرات، وتبدأ مناسك الحج من يوم التروية ـ الثامن من ذى الحجة وتستمر حتى نهاية أيام عيد الأضحى المبارك.

وفى الحج يترك العبد المؤمن الأهل والأصدقاء والأحباب والأوطان، يترك أنيسه المادى والمعنوى من أهله ووطنه، ويتحمل مشاق السفر والاغتراب عن كل هؤلاء ليتجرد ويتفرغ من الف العادة إلى حرارة العبادة، ليكون بالقرب من الله ملبيًّا . . مسبحًا . . ذاكرًا . . شاكرًا . . مصليًا . . طائعًا . . باكيًا . . طالبًا رحمة الله . . فيهون كل شىء أمامه، ويصغر كل شىء أمامه وهو فى رحاب الله فى البيت الذى اختاره الله، وبالقرب من الرسول الذى أرسله الله، وسعيه لهذا اللقاء برغبته واختياره واشتياقه هو امتثال وطاعة وتسليم لمن كلفه وأمره ودعاه فلباه، وأمره فأطاعه، وكلفه فنفذ التكليف وذلك هو الدليل على قوة الإيمان.



والحج من العبادات التى يتفرغ فيها المسلم للصلاة والدعاء والابتهال لله عز وجل وتسبيح الله وتقديسه وحمده وتكبيره والاستغفار والصلاة على النبى ﷺ . . وفى القيام بمناسك الحج ذكر لله سبحانه وتعالى مما يبعث فى النفس والقلب الأمن والطمأنينة:

يقول الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ويقول رسول الله ﷺ:

«عليك بذكر الله وتلاوة كتاب الله فإنه نور فى الأرض وذكر لك فى السماء»(١).

والحج شعور وسلوك إيمانى يجعل الإنسان راضيًا . . مطمئنًا . . هادئًا . . آمنًا . . يحتويه السلام الروحى . . والأمان النفسى . . والسكينة القلبية.

قال ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة».

والحج المبرور هو الحج الذى يخلو من الظلم والإثم والعدوان والفسق والجدال والاعتراض والتأفف والإساءة.

---

(١) رواه أبو يعلى عن أبى سعيد، عن د. حسن الشرقاوى، نحو علم نفس إسلامى، (ص: ٣٠٣).



ولأن الله طيب لايقبل إلا طيبا . .

فإن للحج المبرور مواصفات منها:

- أن يرتقى العبد فى علاقته بـالله عز وجل فيتحلى بما جاء به القرآن العظيم من خلق كـريم، وأدب حميد، وأن يقـتدى برسول الله ﷺ.
- أن يكون المال حلالا.
- أن يتغـير حال العبـد من ذل المعصية إلى عـز الطاعة، ومن طاعة إلى أكثر طاعة.
- لابد من رد المظالم إلى أصحابها قبل سفر العبد لأداء فريضة الحج، وعدم اكتساب مظالم جديدة بعد عودته.
- قضــاء ما فات العبـد من فرائض فى العبادة والإهتـمام بألا يفوته جديد فى رحلة عمره الباقية.
- أن يؤدى العبد حجه أقرب مايكون من سلوك الرسول ﷺ.
- أن يكثر العبد من النوافل والصدقات والأعمال الصالحة ومن تحصيل العلم الدينى الذى يعمل به.



﴿ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴾ [الفرقان: ٧٠].

- تجديد العهد مع الله كلما سنحت الفرصة للسفر لأداء العمرة أو الحج والتزود ليوم الوعيد . . يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وكما نرى فهى مواصفات تتطلب الإخلاص فى القول والعمل، والصدق فى النية والسلوك، والصفاء النفسى والنقاء القلبى حتى يسافر الإنسان لأداء فريضة الحج لايطمع فى شىء إلا فى محبة الله ورضاه.



الصفاء النفسى

عندما ينعم الله سبحانه وتعالى على العبد المؤمن بالدعوة لأداء فريضة الحج .. يشعر هذا العبد المحب لله بفرحة غامرة تسيطر على كيانه كله ممتزجة بالرهبة والخشوع ويوقن بأنه أمام مسئولية كبرى عليه أن يتحملها وأمانة لابد من أدائها.

ويسجد بخشوع وحب حامدًا شاكرًا فضل الله العظيم عليه، داعيًا أن يتقبل الله جل جلاله حجته وأن يعينه على المحافظة عليها.

فالحج مسئولية كبرى أمام الله تتطلب الإخلاص والصدق فى القول والعمل، ونقاء السريرة، والصفاء النفسى.

والإعداد لرحلة الحج يتطلب سلوكيات خاصة حيث يعقد العبد المؤمن العزم على أن يسافر لأداء فريضة الحج صافيًا .. طاهرًا .. نقيًا ليس فى قلبه شائبة .. يتملكه حب الله .. طامعًا فى رحمة الله .. ساعيًا إلى رضاه سبحانه وتعالى.

ويستهل العبد المحب لله المخلص استعداده لرحلة الحج بالصفاء النفسى حيث يصفو بنفسه ويرتقى بقلبه وروحه وكيانه إلى أعلى



درجات الصفاء النفسى ويبدأ فى محاسبة أفعاله ويسترجع أحداث حياته ليصفى حساباته مع نفسه والآخرين، فإذا كان قد أساء إلى أحد أو ظلم أحدًا أو كان سببًا فى إيذاء أحد، فعليه على الفور أن يطلب العفو من الله أولا ثم يستسمح من ظلمه وأذاه.

فإن المحافظة على حقوق العباد من الأمور التى تتعلق عليها كمال المغفرة وتمام التوبة كما جاء فى سورة نوح:

﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ③ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾

[نوح: ٣-٤].

لم يقل المولى عز وجل يغفر ذنوبكم، ولكنه قال يغفر من ذنوبكم، أى أن هناك بعض الذنوب ستظل مغفرتها معلقة حتى تقضى حقوق العباد، مثلها لايغفرها الله إلا بعد ردها إلى العباد أو عفوهم وتنازلهم عنها.

ولكن ماهو الظلم؟

الكثيرون يعتقدون خطأ أن الإنسان يستطيع أن يفعل مايحلو له؛ ثم يؤدى فريضة الحج فيعود من الحج كما ولدته أمه بلا خطيئة .. بلا أخطاء.

ولكن كيف ذلك؟ كيف يحل الإنسان لنفسه أن يظلم ويكون



سببًا فى إيذاء الآخرين أو الإساءة إليهم فى أى صورة من الصور؟ ثم لمجرد أن يؤدى فريضة الحج يعود وكأنه لم يفعل شيئًا . . أين حق المظلوم؟

لقد صور القرآن الكريم الظلم أعظم تصوير حيث توعّد الظالمين بالعذاب الأليم. وكما توّعد الظالمين، وعد المظلومين بالنصر. كما طمأنهم حيث نهى الله عن الجهر بالسوء من القول إلا من ظُلم، وهنا أعطى الله الحق للمظلومين بالجهر بالسوء لأنه يعلم سبحانه مدى الثورة التى تتولد وتتفجر بداخل الإنسان المظلوم.

والظالم إنسان استفحلت فيه آفة الكبر وتولدت عنده الأنانية والغرور والتجبر بدرجة كبيرة فهو إنسان لايرى إلا نفسه، ولايسعى إلا لتحقيق مصلحته الشخصية حتى ولو كان الثمن فى ذلك أن يجور على حساب الآخرين وحقوقهم وأن يؤذى آدميتهم وكرامتهم وكبرياءهم.

فهو إنسان نسى الله فأنساه نفسه.

والظلم ثلاثة أنواع:

ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى: وهو ظلم فى حق الله



سبحانه وتعالى والمقصود به الكفر والشرك والنفاق مع الله. ويعتبر هذا النوع من الظلم .. ظلم عظيم. مصداقًا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وهذا النوع من الظلم لايغفره الله لأنه سبحانه يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء إلا أن يشرك به.

وظلم آخر بين الإنسان ونفسه: وهو ظلم فى حق النفس الإنسانية حيث يقصر ويتهاون العبد فى التكاليف التى أمره الله بها كأن يتكاسل عن أداء العبادات، وهكذا ظلم الإنسان نفسه. ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [فاطر: ٣٢].

ويغفر الله عز وجل هذا النوع من الظلم لمن يشاء.

وظلم بين الإنسان والناس: وهو الظلم فى حق الغير، كأن يأكل الإنسان حقوق الآخرين بالباطل، أو يظلمهم بشهادة الزور، أو أن يستغل نفوذه وسلطته بغير الحق فى مهانة الناس وإذلالهم.. كل هذه وغيرها صور من ظلم الإنسان للإنسان

﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ [الشورى: ٤٢].

فإذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك. وهذا النوع من الظلم يستلزم التوبة عنه وأن تكون مقرونة بالسلوك



العملى كأن يتصافى العبد مع من ظلمه أو أساء إليه حتى يذهب إلى الحج طاهراً نقيًا من أى ضغينة أو شائبة مبتغيًا فى ذلك محبة الله ورضاه.

وكل هذه الأنواع الثلاثة هى ظلم للنفس.

وفى البداية والنهاية الأمر لله وحده ورحمته ومغفرته مقرونة دائمًا بمشيئته وإرادته وحده فيهدى من يشاء، ويغفر لمن يشاء. وهو سبحانه الذى وسع كل شىء رحمة وعلمًا. يصلى له الملائكة بقولهم:

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧].

ويقول عز وجل فى صفة رحمته:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

ويقول تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

لايكاد يبدأ الإنسان سيره فى طريق الإخلاص لله .. حتى ينطبق عليه قوله تعالى:



﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ [الفرقان: ٧٠].

إن الشعور بالذنب يسبب للإنسان الشعور بالنقص والقلق. ويمدنا القرآن الكريم بأسلوب فريد وناجح فى علاج الشعور بالذنب ألا وهو التوبة. فالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى تمحى الذنوب، وتقوى فى الإنسان الأمل فى رضا الله، فتخفف حدة قلقه.

ثم إن التوبة تدفع الإنسان عادة إلى إصلاح الذات وتقويمها حتى لايقع مرة أخرى فى الأخطاء والمعاصى، ويساعد ذلك على زيادة تقدير الإنسان لنفسه، وزيادة ثقته فيها، ويؤدى ذلك إلى بث الشعور بالأمن والطمأنينة فى نفسه:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٧]



﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الانعام: ٥٤].

﴿ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٥٣].

﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢].

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُوْلَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦].

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

والتوبة معرفة حقيقية، وإيمان غالب على القلب، ويقين مؤكد، فإذا ماتمت توبة الإنسان، فإنه يثور نتيجة هذه المعرفة، ويتألم قلبه ويحزن بسبب ماوقع فيه من الذنوب والآثام.

إن إيمان المسلم بأن الله جل شأنه يقبل التوبة ويغفر الذنوب، وأن الله سبحانه وتعالى لايخلف وعده، وإنما يدفعه إلى الاستغفار



والتـوبة، والابتـعاد عن ارتكاب المعـاصى أمـلاً فى مـغفـرة الله ورضوانه وإذا تاب المسلم توبة نصوحة، والتـزم بطاعة الله وعبادته بالعمل الصـالح ارتاح باله، وإطمأنت نفـسه، وزال عنه الشـعور بالذنب الذى يسبب القلق النفسى واضطراب الشخصية.

والحج فرصة عظيمة لـلنفس اللاهية والقلب الغافل، وللإنسان لكى يعـيد حـسـاباته ويغسل نفـسـه من الذنوب والآثام والخطايا فـيعـتدل أمـره ويدخل فى طاعـة الله مما يكسبـه عادات جـديدة وأخلاقًا حميدة. أما فى حالة إذا لم يتب العبد ولم يطلب الصفح ممن آذاه أو ظلمـه. . يظل ظلمه وإسـاءته لغيـره معلقًا حـتى يوم القيـامة فيـحكم الله فى أمره بمعنى أنه مـن الممكن إذا شاء الله أن ينال ثواب الحج ولكن يظل ظلمه معلقًا فى رقبته حتى يوم القيامة ويحاسبه الله على ظلمه فى حق الآخرين . . وهذا هو عدل الله، ورحمـة الله وهو سبـحانه الحكم العـدل الرحيم . . والـعدل هو ميزان الرحمن ليقتص به من الظالم وينصر المظلوم.

والحـديث عن الظلم يستـوقـفنا فى لحـظات من التـأمل عند الاحتساب عند الله.

والإنسـان المظلوم يحتـسب عند الله مـا فعله الآخـرون به . .



والاحتساب عند الله فضيلة ودرجة عالية من درجات الإيمان تتطلب من الإنسان سلوكيات معينة وجهاداً مع نفسه مثل كظم الغيظ والعفو والصبر وكلها سلوكيات فى طريق الله تجعل الإنسان فى حالة صراع دائم مع النفس يتطلب منه الصبر، والصبر على أذى الناس درجة من درجات الإحسان.

ولاتحسبن الذين يحتسبون عند الله أن حقوقهم قد ضاعت .. كلا فهى محفوظة عند الله إلى وقت يشاء الله أن ينصر فيه عبده المظلوم.. وهذا هو وعد الله، ووعد الله حق.

إن تفويض الأمر لله، والاحتساب عند الله يمنح الإنسان قوة كبرى.. قوة يستمدها من حبه لله وثقته فى الله .. قوة تعطيه القدرة على الصبر وتمنحه الهدوء والسكينة والأمان مما يودى إلى صفاء النفس وصفاء الذهن.

إن الصفاء النفسى درجة من درجات الإيمان حيث يشعر العبد بأنه محلق فى السماء، وأن الدنيا صغيرة جدًا أمامه وأيامها قصيرة مهما طالت وأن الفوز برضا الله وحب الله منال كبير لايساويه أى شيء ولا يقدر بكنوز الدنيا ومتاعها.

والصفاء نعمة من نعم الله يمن بها على عبده المؤمن المحب



حيث يشعر هذا العبد بأن هناك نوراً يسرى فى كيانه، ويجرى فى دمه . . نوراً يهـذبه ويصقله ويوجهـه إلى كل ماهو خيـر وفاضل وكريم.

والصفـاء النفسى يتطلب مـن الإنسان سلوكيـات خاصـة مثل العفو والصدق والصبر والإخلاص وكظم الغيظ والإحسان والرضا مما يدفع الإنسـان إلى التـحلى بالخلـق القرآنـى ومن تحلى بالخلق القرآنى وعرفه حق المعرفة وقاه شرور الدنيا وآثامها.



الإحرام

وعندما يبدأ الحاج مناسك الحج، يدخل فى سلام مع الوجود كله، وسلام مع نفسه التى سالمته فرضيت أن تمتنع عن كثير مما أحل الله لغير المحرم، فلا شهوة له فى زينة ولا طيب فضلا عن رفث أو فسوق. وهو فى سلام مع الناس فلا جدال، وفى سلام مع النبات فلا يقطعه، ومع الحيوان فلا يصيده ولا يذبحه، وإن صاده فداه ويظل هكذا حتى يتحلل.

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٩٧]

وفى الإحرام من المواقيت إشعار النفس بأنها دخلت حمى الله، وأقبلت على مكان غير عادى فلابد أن يخرج عن كثير من العادات، تربية للمهابة واستحضارا للقداسة.

والإحرام هو بداية الدخول فى مناسك الحج أو العمرة حيث يلتزم الحاج بأعمال معينة، ويمتنع عن أعمال أخرى ويبدأ الحاج فى الإحرام قبل أن يتجاوز أماكن محددة تختلف باختلاف الجهة التى يدخل منها إلى مكة، وتسمى هذه الأماكن بالمواقيت.



والميقات هو المكان الـذى يلتزم الحاج بألا يتجاوزه إلا مـحرما للحج أو العمرة أو لهما معا سواء جاء إلى مكة بالبر أو بالبحر أو بالجو مصداقا لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام:

«لا تجاوزوا الميقات إلا بإحرام».

ويختلف الميقات حسب الجهة التى يدخل منها الحاج إلى الحرم متجـها إلى مكة، وقد حدد لكل قادم إلى مكـة للحج أو للعمرة أمـاكن لا يحل له أن يتجـاوزها إلا وهو مـحرم، وهذه الأمـاكن هى:

- **ذو الحليـفة:** وتسـمى «آبار على» وهى مـيقـات أهل المدينة المنورة وكل من مـر بهـا أو قـريبـا منهـا تقع على بعـد حـوالى ٤٥٠كليو مـترا إلى الشمـال من مكة وعلى بعد حـوالى ١٨كليو مترا من المدينة.

- **الجحفة:** وتسمى الآن «رابغ» وهى ميقـات أهل مصر والشام والمغـرب، وتبلغ المسـافـة بين رابغ ومكة المكرمـة حـوالى ٢٠٤ كيلومترات.

- **قرن المنازل:** وهى ميـقات أهل نجد والـكويت ومن مر به أو سلك طريقـهم، وهو جبل شـرقى مكة على وادى عرفـات وبينه وبين مكة المكرمة حوالى ٩٤ كيلومتراً.



▫ **يلملم:** وهى ميقات أهل اليـمن. عبارة عن جبل فى الجنوب من مكة المكرمة على مسافة حوالى ٥٤ كيلومترًا.

▫ **ذات عرق:** وهى ميـقات أهل العراق وتقع إلى الشـمال الشرقى من مكة على مسافة ٩٤كيلومتراً.

وهذه الأمـاكن تمثل مواقـيت للحج حددها الرسـولﷺ لأهل هذه البـلاد ومن مر بهـا من غـيرهم، وكـل من يمر بأحـد هذه المواقيـت أو يحاذيه برا أو جـوا أو بحرا فعـليه أن يحـرم قبل أن يتجاوزه.

أما أهل الجـهات التى تقع بين هذه المواقيت ومكة فيـحرم كل منهم من مكانـه الذى يقـيم به، وأما أهـل مكة فـيحـرمـون من منازلهم لعمـوم قول الرسولﷺ فى حديث ابن عـباس رضى الله تعالى عنهما قال: قال ﷺ:

«ومن كان دون ذلك فمـهله من أهل حتى أهل مكة يهلون من مكة».

لكن إذا كـان الإحرام للعـمرة، فـيجب على من كـان يسكن الحرم أن يخرج إلى الحل ـ أى خارج الحرم ـ ليحرم منه لأن النبى ﷺ لما طلبت منه السـيدة عائشـة رضى الله عنها أداء العمـرة أمر أخاها عبدالرحمن بن أبى بكر أن يخرج بها إلى الحل لتحرم منه.



التلبية

وبعد أن يصلى الحاج ركعتين ينوى الدخول فى مناسك الحج، ويلبى النسك الذى يريد أداءه.. فإذا أراد الإحرام بالعمرة فلينو الإحرام بها وليقل: «**لبيك اللهم بعمرة**» وإذا أراد الإحرام للحج قال: «**لبيك اللهم بحج**» وإذا أراد الحاج أن يجمع بين الحج والعمرة بإحرام واحد قال: «**لبيك اللهم بحج وعمرة**» ثم يبدأ بالتلبية التى لبى بها الرسول ﷺ:

«لبيك اللهم لبيك..

لبيك لا شريك لك لبيك..

إن الحمد والنعمة لك والملك..

لا شريك لك.. لبيك»..

ومن السنة رفع الصوت بالتلبية بالنسبة للرجال بعد الإحرام فورا، أما المرأة فترفع صوتها بالتلبية بالقدر الذى تسمع فيه نفسها ويسمعها من يليها فقط.

ويبدأ الحاج فى التلبية من وقت الإحرام، ويقطعها عند رمى أول حصاة من جمرة العقبة الكبرى. أما المعتمر أو المتمتع فإنه



يكثر من التلبية بعد الإحرام، ويكثر من ذكر الله عز وجل حتى يصل إلى بيت الله الحرام ثم يقطعها فور الشروع فى الطواف.

ومعنى التلبية أن يجيب العبد دعوة الداع له وهو الله سبحانه وتعالى الذى يسر له حج بيته، وأعانه عليه بالنفقة والاستطاعة، وأنه بهذه التلبية يعلن خروجه امتثالا لأمر الله الذى أنعم عليه بأجل النعم وأعظمها حج بيته العتيق.

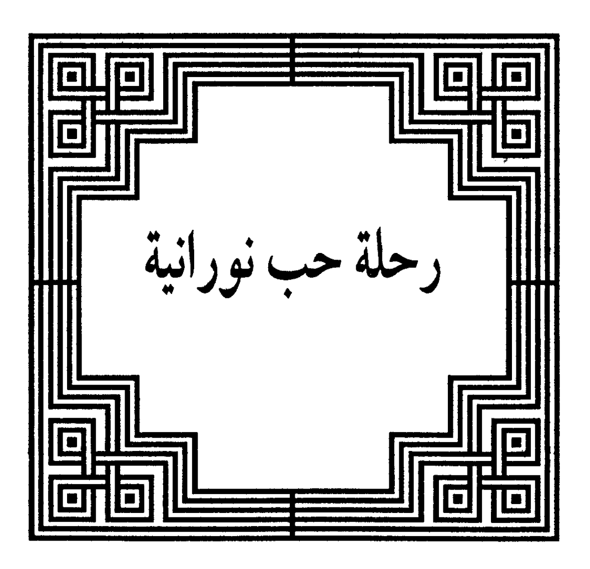
والحج المبرور هو الحج الذى لا يخالطه إثم أو ظلم أو فسق أو جدال فيرتقى العبد بصفائه إلى أعلى درجات النقاء والارتقاء والإيمان، ويصبح حب الله هو هدفه.. والسعى فى طريق الله غايته.. والسلوك إلى الله برضى وحب أمله وما ينشده فى الحياة طامعا فى آيات حبه ولمسات حنانه ونسمات رضاه.

ويبدأ الإنسان رحلته فرحا.. سعيدا.. هانئا.. آمنا.. هادئا.. ساكنا.. راضيا.. ملبيا دعوة الله الكريمة فى أداء فريضة الحج داعيا أن يتقبله بقبول حسن. وأن يقبل حجه ويدخله فى رحمته وأن يغفر له ذنوبه.. وأن يجعله فى طريقه ورضاه.





الفصل الثالث



من أجمل لمسات الحنان الإلهى علينا أن هيأ الله لنا من أمرنا رشدا، وجعل عز وجل العبادة سبيلا من سبل القرب منه سبحانه.

وعندما يتحدث الإنسان المؤمن عن العبادة يشعر بإحساس كلى يمتزج فيه الإيمان بالرهبة والخشوع والحب الإلهى.

لقد جعل الله تبارك وتعالى غاية الخلق هى العبادة، والعبادة قمة المحبة، والمحبة قمة المعرفة، وليس بعد هذا الفضل شىء.

قال الله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وما كانت عبادة الإنس والجن من أجل نفع يصل إلى الله سبحانه وتعالى من وراء ذلك فهو سبحانه غنى عن العالمين، لاتنفعه طاعة، ولا تضره معصية، وإنما خلقهم من أجل عبادته ليكملهم بهذه العبادة، وليصل بهم إلى طريقها ليكونوا أهلا لذاته سبحانه وليتجلى عليهم إذا تزكوا بأنواره وفيوضاته.

وقد نوّع لهم سبحانه العبادة فلم يجعلها على وتيرة واحدة



حتى لا يملوا، وحتى يكون فى تنوعها تزكية لجوانب متعددة وزوايا مختلفة من الطبيعة البشرية، وحتى تتناسب ـ على تفاوت فيما بينها ـ مع كل الطبائع والاستعدادات.

وفهم بعض الناس مراد الله سبحانه، وفهموا توجيهه للبشرية نحو الكمال الذى يجب أن يصل إليه كل من يرجو لقاء الله سبحانه وعلموا أن السعادة كل السعادة إنما هى فى الانضواء تحت اللواء الإلهى والدخول فى الساحات الربانية، فطبعوا الحياة بطابع العبادة وجعلوا أعمالهم عبادة، وحركاتهم عبادة، وسكناتهم عبادة، وتأملاتهم عبادة.. فكانت حياتهم عبادة.

وحاولوا جاهدين أن يقاربوا المثل الأعلى الذى أمر الله سبحانه رسوله صلوات الله عليه وسلامه أن يكونه:

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣) ﴾ [الانعام]

لقد خلق الله الإنسان، وميزه بالعقل والإرادة، وكرمه وفضله على كثير ممن خلق تفضيلا، وسخر له ما فى الوجود لخدمته وذلك كله حتى لا ينشغل بشىء ويتفرغ لعبادته هو وحده.

إن منح الله للإنسان كثيرة، ونعمه عز وجل عليه كبيرة، فلقد



وهبه سبحانه وتعالى العقل ليميز بين الحق والباطل، ويفرق بين الخبيث والطيب، ومنح له القلب الذى يدرك به حقائق الأمور، وأعطاه الجسد الذى به يتمتع بما أحله الله ويمتنع عما حرمه.

ثم اختار له الدين الذى يجب أن يتبعه وأودع فيه فطرة بأن يتجه إلى هذا الدين وألا ينحرف عنه، ثم شرع له شريعة يسير على نهجها.

وقد أوجد الله فى الإنسان القدرة على الاختيار بين طريق الهدى والضلال، الخير والشر، فإما أن يهتدى إلى الصراط المستقيم أو يضل الضلال المبين.

إذن نجد أن الله عز وجل سهل لنا الطريق ورسم لنا السبيل ووضع لكل شىء أصولا ومبادئ وقواعد لنسير عليها ونهتدى بهداها.

فالعبادة شريعة الله فى خلقه، أمرهم بها حتى تقوم الساعة لمغالبة النفس والهوى والشيطان جميعا، لذلك تحتاج العبادة إلى مجاهدة ومكابدة ومعاناة فإذا داوم العبد على العبادة لله ظاهراً وباطنًا . . مخلصًا خالصًا لله انتقل إلى الحياة الأخرى ملاقيًا ربه مؤمنًا فيثاب على عمله ويلحق بالصالحين فى جنات ونعيم.



فالعبادة إذن هى الطريق إلى نعيم الآخرة، وليست العبادة أشكالا وحركات، وليست صوراً ومظاهر، وإنما العبادة إخلاص لله وطاعة لأمره، وذكر لفضله ونعمه، ورضا ببلائه وابتلائه، وتوكل عليه فى كل أمر وفعل، وصبر على مايعطى ومايمنع، ومحبة دائمة لا يعتريها اعتراض ولا مخالفة. والعبادة قلب سليم مع الله، وسكينة فى كنف الرحمن وخوف من وعيده، ورجاء فى وعده وهنا تذوب النفس الأمارة وتظهر النفس المطمئنة.

والعبادة الحقة ليست مقصورة على الفرائض المسنونة، ولا التكاليف المقررة وإنما هى صدق وإخلاص ونية حسنة وحبٌ لله عظيم يمتزج بالرهبة والخشوع لرب العالمين الذى لا إله إلا هو الإله الواحد الصمد الخالق لكل شىء .. والمدبر لكل شىء .. والمهيمن على كل شىء .. والقادر على كل شىء.

ويقوم الدين الإسلامى على ركيزة أولية وعادة أساسية هى التوحيد، والتوحيد هو الحقيقة الأساسية فى العقيدة الإسلامية بل إنه المقوم الأول فى دين الله كله، وخاصية بارزة وهامة من خصائص هذا الدين .. فهو الجوهر والأصل الثابت لدين الإسلام.



والإنسان فى ظل هذه العقيدة، وتحت راية هذه الحقيقة يعيش روعة الإبداع الإلهى الذى يحيا فى نفسه ويتفاعل مع كيانه فيهز وجدانه ويحرك قلبه ولسانه بقول:

«لا إله إلا الله وحده لاشريك له».

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾

[آل عمران: ١٩١]

جل جلالك .. عظمت قدرتك .. وتقدست ذاتك.

فإن الله وحده الذى يتقرب إليه المسلم بعبادته وخضوعه، ومن الله وحده يستمد المسلم العون ويطلب الهداية.

ولذلك فإن التوحيد من أول الأركان الأساسية الخمسة التى بنى عليها الإسلام، ولكى يتحقق إسلام الإنسان لابد من شهادته بأنه لا إلَه إلا الله محمد رسول الله ثم أداء جميع الأركان الأخرى وهى: إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

هذه هى الأركان الأساسية التى يقوم عليها الإسلام، وهى فى نفس الوقت تمثل العبادات التى شرعها الله لعباده للقيام بها وأدائها.



من أصول العقيدة الإسلامية أن يصلى الإنسان خمس مرات فى اليوم.. والصلاة هى التطبيق العملى للمعرفة النظرية التى تقولها شهادة أن لا إلـه إلا الله، والصلاة حركات يقوم بها المسلم، يسجد فيها ويركع، يقرأ القرآن ويدعو، يذكر الله ويشكره.. وقبل هذا كله وبعده يحب الله.

إذن الصلاة صلة بالله.. يقف الإنسان فيها خمس مرات فى اليوم بين يدى ربه سبحانه.

الشهادة فى الإسلام اتصال بالله وحب.

والصلاة فى الإسلام اتصال بالله وتطبيق عملى للحب.

والزكاة فى الإسلام تصرف اقتصادى ينطوى على فعل من أفعال الحب.

والصوم فى الإسلام امتناع عن حاجات الجسم إلى الطعام والشراب وابتعاد عن الشهوات حبا فى الله وطاعة لأمره.

والحج فى الإسلام تعظيم لشعائر أقامها الله عز وجل بأمره، وتحقيقا لدعوة إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام حيث قال الله تعالى فى كتابه الكريم:



﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) ﴾ [البقرة]

وإذا تأملنا هذه الآية الكريمة وجدناها تتضمن دعوة إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام حيث كانا يرفعان القواعد من البيت ويدعوان الله بأن يتقبل منهما إنه هو السميع العليم وأن يجعلهما مسلمين له وحده ومن ذريتهما أمه مسلمة له وحده، وأن يريهم مناسكهم أى يريهم أسلوب العبادة الذى يرضاه منهم وأن يريهم كيف يحب سبحانه أن يعبدوه فى الأرض وأن يتوب عليهم إنه هو التواب الرحيم ثم تتجاوز الدعوة الزمن الذى يعيشان فيه حيث يطلبان من الله أن يبعث إلى عباده رسولا منهم يتلو عليهم آياته سبحانه ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنه هو سبحانه العزيز الحكيم.

وتحققت دعوتهما بعد أزمنة وأزمنة حيث بعث محمدﷺ.

انتهى بناء الكعبة. وبدأ طواف الموحدين والمسلمين حولها، ووقف إبراهيم عليه السلام يدعو ربه بأن يجعل أفئدة من الناس تهوى إلى المكان.



قال الله تعالى:

﴿ **فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ** ﴾ [إبراهيم : ٣٧]

من هذه الدعوة ولد الهدى العميق فى نفوس المسلمين رغبة فى زيارة البيت الحرام.

وأخطر من هذا.. ودا عميقا وحبا خالصا لرب البيت... رب العالمين.

فإبراهيم عليه السلام هو النبى الذى اتخذه الله خليلا.

قال الله تعالى:

﴿ **وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** ﴾ [النساء: ١٢٥]

وهو النبى الذى ابتلاه الله ببلاء مبين.. بلاء فوق قدرة البشر وطاقة الأعصاب.. ورغم حدة الشدة وعنت البلاء.. كان إبراهيم هو العبد الذى وفى.

﴿ **وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ** ﴾ [النجم: ٣٧]

فالعبادة هى قمة من قمم الحب بل هى قمة المحبة وكمالها، وهى طاعة الله والتوجه إليه سبحانه وتعالى بقلب مخلص سليم والتجرد من كل علائق الدنيا وشوائبها وهواها، وهذا يتطلب من العبد استحضاراً كاملاً لله فى عقله وفكره وقلبه وفؤاده وكيانه كله، وهنا يشعر بالصفاء يملأ وجدانه، والنورانية تحيط أعماقه،



وحب الله يغمر قلبه وكيانه كله حيث لا يكون فى القلب شىء سوى الله، ولا يشغل الفكر شىء إلا القرب من الله، ولا يكون السلوك إلا لله، ولا يتخذ الإنسان هدفا إلا الله.

والعبادة ليست مجرد شعائر ومناسك أو حركات يؤديها ويقوم بها الإنسان المؤمن المحب لله.. إنها أمر أكبر من مجرد القيام بشعائر مفروضة.. فالعبادة رحلة حب لله العلى العظيم حيث يناجى فيها القلب المحب لله ربه.. يسأله ويستعين به.. يلجأ إليه وحده.. يحكى فرحته وسعادته له معترفا بأن هذه الفرحة التى ينعم بها من فضله هو وحده.. يشكره على الخير الكثير الذى منحه الله إياه.. وكما يحكى هذا القلب المحب فرحته وسعادته لله فهو يشكو أيضا حزنه وضيقه له سبحانه داعيا أن يفرج عنه هذا الضيق صابرا آملا واثقا فيه عز وجل فى أنه سيزيل حزنه ويبدل مكانه أمنا وسلاما ولكن صبرا جميلا.

ويوقن الإنسان المحب لله يقينا كاملا بأن العبادة ليست إلا رحلة حب لله العلى العظيم فهو على موعد مع الله كل يوم.. ومكان اللقاء هو سجادة الصلاة التى يقف عليها بكل خشوع.. هذا هو المكان الذى يلتقى فيه بالله.. يركع له ويسجد، يناجيه، ويدعوه، ويشكره، ويشكو إليه همه، ويبث إليه حزنه، ويحكى فرحته وهناءه إليه، ويذكره، ويردد كلماته إنه فى هذه الرحلة على موعد مع الحب.. الحب الإلهى حيث الصفاء والروحانية.



قدسية الصلاة

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى للصلاة أهمية كبرى وقدسية عظيمة.. فهى العبادة الوحيدة التى لم تستثنى بأى عذر من الأعذار، وهذا دليل على قدسيتها التى لا يعدلها أهمية أى ركن من الأركان الخمسة لأنها تضم كل الفرائض الخمسة:

- ففيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

- والصوم وإن كان هو الامتناع عن شهوتى الفرج والبطن فإنه ليس مانعا لك عن الكلام والحركة والجرى فيكون معنى الصيام فى الصلاة أكبر وأوسع.

- وإذا كانت الزكاة هى استقطاع جزء من مالك الذى حصلت عليه نتيجة الوقت الذى بذلت فيه عملا وجهدا، فإنك فى الصلاة تستقطع جزءا من وقت العمل لتؤديها فتكون قد زكيت بالأصل.

- وفى الصلاة حج أيضا، لأنك تتجه بوجهك نحو الكعبة.

لكل هذه الميزات اختلفت الصلاة عن بقية الأركان فى منزلتها، فلم تفرض بواسطة الوحى، بل بالمباشرة بين رب محمد ومحمد، والإنسان دائما فى حاجة إلى الالتحام مع ربه حتى لا يحرم نفسه



من التجليات والإشراقات الربانية وحتى يتذوق نسمات العطاء الرباني، ولمسات الحنان الإلهي.

ولأهمية الصلاة لم يفرضها الحق إلا من فوق سبع سموات ليلة الإسراء والمعراج، لأن كل الفروض أوحى الله بها إلى رسوله محمد ﷺ عن طريق الوحى بواسطة جبريل عليه السلام ما عدا الصلاة التى استدعى من أجلها الحق رسوله كهدية إلى أمة محمد إلى يوم القيامة، لذلك أوضح الرسول أن أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة هى الصلاة، فإذا صلحت صلح باقى عمله، وإذا فسدت فسد باقى عمله؛ لأنه مع عدم قدرة الإنسان على أداء بقية الفروض كأن يكون مريضا غير قادر على الصيام أو فقيرا غير مستطيع الزكاة أو الحج فإنه لا يتبقى له كمسلم إلا الصلاة، وإلا لو لم يصل فماذا بقى له من مظاهر إسلامه واتصاله بربه؟

لا يوجد إلا الصلاة التى هى الفارق بين المسلمين وغيرهم ممن لا دين لهم، فمن أقامها أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين.



رحلة العمر المقدسة

والحج عبادة العمر، ورحلته المقدسة التى يسافر فيها المسلم مهاجرا إلى الله ورسوله تاركا الأهل والمال والولد والوطن، زمانه شهر الله الحرام ذى الحجة، ومكانه بيت الله الحرام. حيث تتعانق قداسة الزمان مع قدسية المكان مع طهارة الإنسان.

وتتميز عبادة الحج بين العبادات التى شرعها الله بميزتين:

- عراقتها الموغلة فى القدم التى تضرب فى أعماق التاريخ منذ عرف الإنسان «الدين الحق» من وحى السماء ودعوة الرسل الكرام من آدم عليه السلام إلى محمد النبى الخاتم عليه الصلاة والسلام.

- ثم ما يرتبط بعبادة الحج من قيم فاضلة وأخلاق كريمة تطهر بها النفس وتصفو بها الروح وينشرح القلب بالإيمان استعدادا للعودة إلى الله بالعمل الصالح والعبادة الخالصة لوجهه الكريم.

والحج - لغة - هو التوجه والسعى إلى كل «معظم» بالزيارة. والحج - شرعا - هو التوجه إلى بيت الله الحرام فى وقت محدد لأداء المناسك - أفعال محددة - من بينها الإحرام والطواف والسعى بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة، ورمى الجمرات. وغير ذلك من مناسك الحج.



والحج من الشرائـع السماوية القـديمة فـقد ورد فى الأثر وفى الشرائع القديمـة أن أبا البشر آدم عليه السـلام قد حج إلى البيت الحرام، وأن الملائكة قد هنأت أدم عليه السلام بحجه.

يقـول الله تـعـالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦]

والبيت المقصود فى الآية الكـريمة هو بيت الله الحرام أو البيت العتيق، أما متى وضع البيت، ومـتى أقيم؟ فيقال إنه وضع للناس فى الأرض منذ خلق الله آدم عليه السلام، وظل الناس يطوفون به على مـر الأجيـال القديـمة، ثم اندثرت آثاره إلى أن أظهـره الله لسيدنا إبراهيم عليه السلام وعرفه مكانه وكشف له عن أساساته.

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ [الحج: ٢٦]

ثم أمر الله إبراهيم أن يكشف ـ مع ابنه إسمـاعيل ـ عن أساس البيت وقواعده، وأن يقيما على هذه القواعد بنيانا قويا لكى يعود مرة أخرى «بيت الله الحرام» مكانًا للطواف بالحج للبشر.

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٧]

ويقال إن سيدنا إبراهيم ارتفع ببنـاء الكعبة إلى أن ارتفع البنيان



عن طول قـامتـه فطلب من ابنه إسمـاعيل أن يأتيـه بحجـر يقف عليه. واستطاع بواسطة هذا الحجر أن يرتفع بالبناء، ويقال إن هذا الحجـر الذى وقف عليـه إبراهيم هو مقـام إبراهيم، وهو حـجر موجـود بالفعل بمكان الطواف حول البـيت فى مواجهة الكعـبة، ومحاط بحـزام من النحاس الأصفر وقـد وردت الإشارة إلى هذا الحجر فى القرآن الكريم.

﴿اتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]

وإلى الجنوب الشـرقى من وادى «منى» يوجد وادى عـرفات، والوقـوف بعرفة هـو ركن الحج الأساسى وشـرط لاكتمـال الحج وصحتـه لقول الرسول ﷺ «الحج عرفة» أى أن الوقـوف بعرفة هو الحج.

ولقد جعل الله سبحانه وتعالى الاستطاعة شرطًا لوجوب الحج لقوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: ٩٧]

والاستطاعـة تعنى قدرة المسلم على أداء الحج صـحيا ومـاليا. روى الإمام أحـمد عن الحـسن رضى الله تعالى عنه قـال: أنه لما نزلت آية الحج وفيها ﴿من استطاع إليه سبيلا﴾.



قال رجل:

يا رسول الله مـا السبيل؟ فقـال الرسول ﷺ: «الزاد والراحلة» والمقصـود بالزاد: الطعام اللازم للسفر ونفـقته ونفقـة من يعولهم حتى عـودته، والمقصود بالراحلة - الآن - وسـيلة السفر ونفـقات الإقامة.

ويضـيف الفـقـهـاء إلى شـروط وجـوب الحج - إلى جـانب الاستطاعـة - البلوغ والعقل والحـرية، والبلوغ والعـقل شرط كل عبادة تكليفية كالحج.

وهكذا نرى أن الحج - ركن الإسلام الخـامس - فرض على كل مـسلم مسـتطيع بالغ عـاقل حـر فى العـمر مـرة.. ويجىء هذا التوقـيت بعد أن يكون المسلم قـد خرج من أداء فريضـة الصوم، وقد تزود منها برياضة روحـية طيبة ليستـأنف رحلة روحية أخرى إلى الله تشترك فيها الروح مع البدن حيث يسارع المسلم القادر إلى الحج تاركـا الأهل والمال والولد والوطن متـحمـلا فى سبـيل أداء عبـادة العمر مشـقة الطريق، وآلام الاغتـراب لكى يقف فى حرم الله، وأشهـره الحرم خاشعـا ملبيا دعـوته التى دعاه بها فى كـتابه الكريم:



﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (٢٦) وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ (٢٨)﴾ [الحج]

والحج بهذا المعنى يعالج كل مكونات المسلم:

قلبه، وبدنه، وماله، ولا يتوفر ذلك فى غير الحج من العبادات:

فالصلاة: عبادة روحية، وللبدن فيها نصيب.

والصوم: عبادة روحية، وللبدن فيها نصيب.

والزكاة: عبادة تتضمن التضحية بالمال.

لكن الحج: عبادة روحية وبدنية فى وقت واحد.

عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال:

«سئل رسول الله ﷺ: أى الأعمال أفضل؟ قال عليه الصلاة والسلام: «إيمان بالله ورسوله». قيل ثم ماذا؟ قال: «جهاد فى سبيل الله». قيل ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور»، والحج المبرور هو الذى لا يخالطه إثم.



وقد ورد هذا الترتيب فى القـرآن الكريم فلم يفصل بين الصوم والجهاد، وبين الحج والإنفاق فى سبيل الله:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]

ثم قال تعالى:

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة : ١٩٥]

والإنفاق جهـاد مالى ثم بعد الإنفاق والجهـاد جاء ذكر الحج: **قال تعالى:** ﴿أَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لله﴾ [البقرة : ١٩٦].

إذن.. فالحج جهاد.

والصوم جهاد نفسى، والقتـال جهاد بدنى، والإنفاق فى سبيل الله جهاد مالى.

والحج جهاد بدنى ونفـسى ومالى، إلا أنه جهاد لا قتـال فيه. ويؤكد ذلك ويؤيـده ما رواه النسائى بإسناد حـسن عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه: أن رسول الله ﷺ قال:

«جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج».

فالحج منهج جامع لكل عناصره قلبا وبدنا ومالا، فهو تكليف



يشتمل على مشتـقات متعددة لأنه يقيد الفعل ويقـيد زمانه ويقيد مكانه، وليس ذلك لركن سواه، فالشهـادة تقيد فعل اللسان ولكن فى حرية من الزمـان والمكان، والصلاة تقيـد الفعل قولا وعـملا وتحـدد الزمـان ولكن فى حـرية من المكان، والزكـاة تقيـد فـعل التصـرف ولكن فى حرية زمـان ومكان، والصوم يحدد الإمـساك عن شهـوتى البطن والفرج ويحدد الزمـان ولكن فى حرية مكان، ولكن الحج يحدد كل هذه العناصـر فهو مقيد فى زمن ومـقيد فى مكان، ولهذا كـان التعبـد فيه مـركبا، وفـضل من الله أنه جعل جزاءه إذا كان مبرورا الجنة.



العبادة فى الحج

العبادة شىء عظيم.. يجد الإنسان المحب لله فيها نفسه يستشعر حلاوة الإيمان.. يشعر بنسمات الأمان ينعم بحياة السلام مع كل شىء فى الوجود، ويمن الله عليه بلمسات كبرى من الحنان الإلهى والرضا الربانى.

والعبادة فى الحج لها مذاق خاص.. تعجز الكلمات عن وصفه.. إنه إحساس وسلوك ويمتزج بالرهبة والخشوع والحب والرحمة والحنان والود والألفة والصدق مع النفس والإخلاص فى كل شىء حبا لله وحده.. وتقربا إليه جل جلاله.. طمعا فى مغفرته ورحمته ورضوانه سبحانه.

والقلب المحب لله له طبيعة خاصة حيث يحب كل ما خلقه الله سبحانه وتعالى.. يشعر بالسلام الروحى يرفرف على قلبه.. يميل إلى الهدوء متأملا فى عظمة الخالق وقدرته وآياته الكبرى فى الوجود.. هذا القلب الهادئ الطبع.. يجد نفسه فى الحج تتغير طبيعته التى تأنف الزحام إلى طبيعة تزاحم إلى تلبية نداء الله لتطوف مع الطائفين موحدة ومسبحة بحمد الله.

ويسجد هذا القلب المؤمن لله الواحد الرحمن شكرا له



عزوجل أن أعانه على أداء المناسك بإخلاص وحب طامعا فى أن يتقبلها منه سبحانه.

فالعبادة رحلة حب نورانية حيث يشرق الله على عبده المحب له سبحانه بأنواره وفتوحاته الربانية، ولمسات حنانه الرحمانية.

وهل هذه الأنوار إلا أنوار حب من الله الوهاب الكريم؟ وهل هذه الفتوحات إلا آيات حب من الله الفياض العظيم؟ وهل لمسات الحنان الربانية وآثار الرحمة الإلهية إلا لمسات حب من الله الرحمن الرحيم؟

إذن هى حقا رحلة حب نورانية مشرقة حيث يشرق الحب بأنواره على كيان هذا العبد المؤمن المحب لله عز وجل فتتفاعل جميع أعضاء الجسد بهذا الحب العظيم حيث تذرف العيون بدموع الحب، ويركع ويسجد الجسد ركوع وسجود حب، ونبضات القلب تعلن عن حبها بدقات القلب ونبضاته التى تزداد مع كل كلمة تسبيح.. ومع كل سجدة خشوع.. ومع كل دمعة حب حتى الوجدان والكيان كل يهتز، والأيدى ترتعش، والجسد يرتجف حبا لله وكأنهم جميعا يشتركون فى هذا الحب ويهتزون ويستمتعون بكلمة لا إله إلا الله حيث يشعر العبد المؤمن المحب



لله بأن الأرض والسماء تهتز لهذه الكلمة العظيمة.. فيسبح كل ما فى الوجود بكلمة التوحيد تقديسا وحمدا وشكرا لله بأنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له مالك الملك القادر على كل شىء الوهاب الذى يهب ويمنح كل شىء سبحانه الحى القيوم الرحمن الرحيم نور السموات والأرض رب العالمين رب العرش العظيم.

وإذا كانت العبادة رحلة حب نورانية يشرق القلب المحب لله سبحانه وتعالى فيها بنور الحب الإلهى.. وينعم بفيض الحنان الإلهى فإن الحج رحلة حب نورانية أخرى حيث يصفو الحاج بنفسه وتصبح أعماله كلها حبا لله يشعر وكأن هناك نورا أحاط به من العمق.. فجعله صافيا.. نقيا.. محبا.. يشعر بالصفاء فى كل شىء.. يحس بالسلام مع كل شىء.. ينعم بالأمان الروحى فتصبح رحلته.. رحلة حب نورانية ينعم فيها بالنور والجمال والحنان والود. ويتغير تغيرا كاملا وتصبح الدنيا فى يده وليست فى قلبه ويعود من رحلته شخصا آخر يحيط النور أعماقه والصفاء حياته.. والسلام وجدانه ولا يشغله شىء ولا يقلقه إلا أمر واحد.. هو كل هدفه كيف يحافظ على حجه فى رحلة العمر الباقية.



إذن هنا الحج رحلة حب نورانية أشرقت على قلب العبد المؤمن الحاج بأنوار الحب. فامتزجت حياته بهذه الأنوار مما جعله شخصا جديدا طاهرا محبا لكل شيء خلقه الله حبا لله. . يشعر بالصفاء النفسى مع كل شخص تقربا إلى الله هادئ الطبع. . وديع النفس. . ترفرف أجنحة السلام الروحى على قلبه فيطمئن بحياته. . ويسعد بأيامه وبالتالى غيرت رحلة الحج هذا العبد المؤمن حيث جعلته عبدا محبا لكل ما فى الوجود. . مخلصا حبا لله وحده وتقربا إليه سبحانه عز وجل. . طامعا فى رحمته وعفوه ورضاه.

إن للحج شعوراً آخر حيث يشعر الإنسان الحاج بأن جسده على الأرض ولكن قلبه موصول بالسماء. . إنها رحلة تشده إلى آفاق عالية. . ونسمات روحانية. . فيوضات نورانية تحيط به هبة ومنحة من الله الواحد الوهاب.





الفصل الرابع



لكل شىء فى هذه الدنيا أصول وقواعد، وأى شىء يُبنى على غير ذلك فهـو فوضى ولاشك زائل والحق دائما يُبنى على أصول وقواعد.

ولا يشذ عن ذلك.. الحج.

فالحج حتى تكتمل أركانه يمر من خلال مجموعة من الأصول والقواعـد منها القـواعد الخُلقيـة ومنها السلوكيـة ومنها الشـعائر والعبادات الخاصة بهذا الركن.

وزينة الحج وجوهره هو الخُلق والسلوكيات.

ومن أخلاق الحج التى تؤثر على سلوك الإنسان تأثيرا كبيرا.. الصبر، والشكر، ضبط النفس، المجاهدة حبا لله وحده، ومخالفة الهـوى.. التعـاون.. الرضـا.. الصـدق.. الإخلاص. البـر والإحسان.. المودة والألفة مع كل شىء فى الوجود.

ولا تتـصور أبدا أن يكـتمل حج إنسـان دون أن يتطعم بهـذه الأخلاقيات.. وإلا ما فـائدة أن يقطع الواحد منا هذه المسافة دون أن تتـزكى ذاته وتتـحلى نفسـه بخلق الحج القـويم. فـعندها.. وعندها فـقط يحمـد الإنسان ربه على نعـمة الحج التى سـتغـمر جنبات نفسه حبا وخلقا وسلوكا قويما.



صبرك أيها الحاج يتجلى فى تحملك لمشقة السفر وعناءه.

إذا كنت مسافرا برا.. تتحمل مشقة الطريق وطول مسافته وربما قسوة الأجواء التى قد تمر عليك.. أليس ذلك فى سبيل الله وما أجملها من مشقة.. وما أجمله من صبر فى سبيل الله.

والحاج المسافر جوا لا شك أن عليه الصبر على إجراءات السفر فى المطارات والتى تستغرق وقتا طويلا نظرا لكثافة عدد الحجاج.. أليس الصبر هنا خُلقا يجب أن يتحلى به كل حاج.. لم لا؟ وهو فى سبيل الله فما أجملها من مشقة وما أغظمه من صبر فى سبيل الله.

وقد يرى الحاج حاجا آخر يكبره سنا لا يستطيع الوقوف طويلا فيدبر له مكانا للجلوس أو يساعده فى إنجاز حاجته بسرعة.. أليس ذلك تعاونا فى سبيل الله.. وأليس هذا من خُلق الحج.

مخالفتك لهوى نفسك وحبها للراحة والتكاسل وإرغامها على النهوض والنشاط فى أداء العبادات.. أليس ذلك فى سبيل الله.. وأليس هذا من خُلق الحج.

تبرعك بوقتك ومجهودك وزادك وزوادك لأجل مساعدة حاج



زميل لك أو تمريضه أو تقديم الدواء له عند الحاجة. . أليس ذلك فى سبيل الله. . وأليس هذا من خُلق الحج.

حبك وإخلاصك للمجموعة التى معك من الحجاج وتآلفك معهم على البر والتقوى. . أليس ذلك فى سبيل الله. . وأليس هذا من خُلق الحج.

صبرك على أذى الآخرين وضبطك لغضب نفسك ومعاودتها على التحمل وتجاوز أخطاء البشر. . أليس ذلك فى سبيل الله. . وأليس هذا من خُلق الحج.

رضاؤك بما يحدث لك من حوادث خارجة عن إرادتك وصبرك عليها لأنها من قضاء الله وقدره. . أليس ذلك فى سبيل الله. . وأليس هذا من خُلق الحج.

إن الحج أيها السادة. . ليس كلمة وإنما سلوك ومسئولية وخلق قويم.

إذا عرفه الحاج جيدا وتحلى به. . صار إنسانا آخر. . وأصبح حاجا توجهه أخلاقيات الحج وسلوكه.

فما أعظمه من سلوك وبارك الله فيه من حج.



الخلق القرآنى والآداب الإسلامية

الخُلق القرآنى نور مـن الله عز وجل إلى العبـد الصادق المؤمن ومنه يستمد الحيـاة والطريق إلى الله. فإذا صفت النفس.. وطهر القلب.. ووضـحت السـريرة.. وانقـشـعت من علـى النفس غمامات الحـقد والحسد عرف هذا العبد الـصادق طريقه.. فيكون منارا له فى حياته، وذكرى حسنة بعد مماته، وإرثا باقيا له فى ذمة الله إلى يوم الدين.

ولقد تحلى الرسول عليه الصـلاة والسلام بالخلق القرآنى القويم حيث قال الله عـز وجل فى كتابه الكريم: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤]

وكما قالـت السيدة عائشة رضى الله تبارك وتعـالى عنها عندما سئلت عن أخلاقهﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن».

إن الخلق القرآنى هو الصورة الحية النابضة الكاملة التى أراد الله عز وجل أن يتحلى بها عبده الصادق المؤمن حتى يكون دائما على مقربة من الله فيحظى برضائه، ويتمتع بعطائه الفياض الغزير الذى لا حـد له ولا ينتـهى أبدا، وكـمـا قال الله تعـالى فى حـديثـه القدسى: «من تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا. ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا، ومن أتانى يمشى أتيته هرولة».

ويستمد منهج التربية الإسـلامية من النبع الفياض.. هدية الله



عزوجل إلى العالمين «القرآن الكريم» الذى يرسم لنا الصورة المثلى النابضة الكاملة التى يجب أن يتحلى بها الإنسان فيستحق أن يكون خليفة الله فى الأرض، ويرشدنا إلى الأسوة الحسنة التى يجب أن يقتدى بها الإنسان ويتخلق بأخلاقها متمثلة فى رسول الله محمد ﷺ فيسير على طريقه ويتعلم منه منهجه فى الحياة.

وللتربية الإسلامية جانبان هما:

الأخلاق القرآنية.

والآخر يتعلق بالآداب الإسلامية.

والأمة الإسلامية التى تتبع المنهج الإلهى تلتزم بآدابة وأخلاقياته هى خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.

قال تعالى: ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ (آل عمران: ١٠٤)

ولا خير فى مجتمع يقوم أفراده على الاهتمام بتطبيق عادات الغرب وتقاليده وينسى أو يتناسى الاهتمام بتطبيق تعاليم الإسلام وآدابه وأحكامه.

والحج المبرور هو الحج الذى لا يخالطه إثم أو ظلم أو عدوان ويعمر قلب صاحبه بالإيمان والنورانية والصفاء ويهدى إلى التحلى بالخلق القرآنى والتمسك بالآداب الإسلامية حتى يفوز برضا الله وعفوه ورحمته ومغفرته وينال ثواب الحج المبرور وهو الجنة.



آداب شعائر الحج

لكل منسك من مـناسك الحج آدابه وسلوكـيـاته التى يجب أن يتـحلى ويلتزم بهـا كل حـاج بما يقربه إلى الله ويعـينه لأداء هذه الفريضة العظيمة.

ولكل عبـادة أركانها التى تقـوم عليها ولا تصح إلا بإتمامـها. والحج ـ ككل عبادة أخرى ـ له أركانه، والركن هو ما تتوقف عليه صحة العبـادة من الأعمال، وهو المنسك أو العمل الذى تؤديه ولا يجوز أن توكل به أحدا أو يفعله أحد غيرك.

وأركان الحج هى تلك الأعمال الـتى إذا ترك الحاج واحدا منها أو لم يؤده على الوجـه الصـحيح فـإنه لا يصلح بشىء آخـر من كفارة أو صدقة أو صيام أو فداء ـ ذبيحة أى دم ـ وعلى ذلك فإن الركن هو العمل الذى إذا لم يتم أو يصح فسد حجه وعلى الحاج إعادة الحج فى عام آخر.

وأركان الحج الرئيسية خمسة ولابد من إتمامها لقوله تعالى:

﴿أَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ (البقرة: ١٩٦)

الركن الأول: الإحرام ويشمل النية

ومعناه الدخول فى حرمات الحج، وينعقد الحج بالنية والنية هنا



كالنية فى الصلاة محلها القلب، ولكن يستحب التلفظ به فى هذا المقام.

وأنواع الإحرام ثلاثة هى:

الإفراد: أى الإحرام بالحج وحده من الميقات فى أشهر الحج، فإذا فرغ من أعمال الحج أحرم للعمرة من جديد، وطاف وسعى وأتم أعمالها.

والتمتع: أى يحرم الحاج بالعمرة فى أشهر الحج ويفرغ منها ويتحلل ثم يحرم بالحج فى عامه أى أنه يعتمر فى أشهر الحج يحرم ويطوف ويسعى ويحلق أو يقصر ثم يتحلل من إحرامه متمتعا بحياته العادية إلى أن يحل يوم التروية ـ الثامن من ذى الحجة ـ فيحرم لأداء الحج.

والقران: وهو الجمع بين الحج والعمرة فى إحرام واحد أى أن يحرم الحاج بالعمرة وفى هذه الحالة يجب أن يبقى على إحرامه ولا يتحلل منه إلى أن ينتهى من أعمال الحج.

ويجب على المتمتع والقارن أن يقدم هديًا، وهو ما يهدى إلى



الحرم وساكنه من الذبائح - الإبل والبقر والغنم - فعلى المتمتع هدى لأنه تمتع بأداء العمرة ثم تحلل ثم أحرم ثانيا بالحج مصداقا لقوله تعالى:

﴿ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ [البقرة: ١٩٦]

وأما القارن فعليه هدى لأنه قرن بين النسكين فى نسك واحد.

وبعد أن يختار الحاج النسك الذى نوى أداءه من بين الإفراد والقران والتمتع يصلى ركعتين سنة الإحرام، ويستحب أن يقرأ فيهما سورتى الكافرون والإخلاص، ثم بعد الصلاة ينوى الإحرام بقلبه وتعقب النية مباشرة التلبية.

«لبيك اللهم لبيك..
لبيك لا شريك لك لبيك..
إن الحمد والنعمة لك والملك..
لا شريك لك لبيك»..

الركن الثانى: الوقوف بعرفة

بعد طلوع شمس يوم التاسع من ذى الحجة يتوجه الحجاج إلى عرفات مهللين «لا إلـه إلا الله» مكبرين «الله أكبر» ملبين:



«لبـــــيك الـلهـم لبـــــيـك..

لبـــيك لا شـــريـك لك لبـــيك..

إن الحـمـد والنعـمـة لك والملك..

لا شـــــريـك لك لـبـــــيـك»..

وقد أجمع الفقهاء على أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأكبر والأسـاسى الذى لا يصلح الحج إلا به لحـديث رسـول الله ﷺ: «الحج عرفة».

ويبدأ وقت الـوقوف بعرفـة أو عرفات مـن زوال ـ ظهر ـ يوم التـاسع من ذى الحجـة وحتى طلوع فـجر العـاشر أول أيام عـيد الأضحى.

ويكفى أن يقف الحاج جزءًا من هذا الوقت ليلا أو نهارا، وإلا أن الحاج إذا وقـف بالنهار وجب عليـه مد الوقـوف إلى ما بعـد الغروب.

هذا عن زمن الوقـوف بعرفـة أما مكانه فـلابد أن يكون داخل وادى عرفة، والمقصود بعرفـة هو الوجود والحضور ولو كان الحاج نائما أو يقظا، راكبا أو قاعدا، مضطجعا أو ماشيا أو غير ذلك.



والوقوف فى عرفة شعور له مذاق خاص يشعرك بقمة العبودية لله عز وجل.. يعطيك الإحساس بالأمان والسلام.. هنا وفى هذا المكان الجليل العظيم.. أنت ضيف الرحمن، ومادمت ضيف الرحمن فأنت آمن وسالم من كل سوء.

والوقوف فى عرفة هو الحضور كما ذكرنا من قبل وللمكان احترامه وآدابه التى يجب أن تلتزم بها.

ومن آداب الوقوف فى عرفة عدم تبادل أطراف الحديث مع إخوانك الحجاج فى أمور الدنيا، والتعاون على البر والتقوى، وعدم إيذاء الغير، ومساعدة أى حاج يحتاج إلى العون سواء أكان مريضا.. أو مسنا.. أو امرأة.. فإن طرق الخير كثيرة فى الحج ومفتوحة دائما ولا تحتاج إلا لصفاء النفس ونقاء القلب.. فلنسارع إلى الخيرات طامعين فى رحمة الله وعفوه ورضاه وإحسانه وحبه.

ومن الآداب الهامة لهذا المكان أن تنشغل بذكر الله عمن سواه، وأن تكثر من تلاوة القرآن الكريم والدعاء والاستغفار، إنها لحظات جليلة تتجلى فيها الرحمة والمغفرة الواسعة.

إنها فرصة فاجعلها لا تفوتك.. ولتجعل يوم عرفة بداية



لمرحلة جديدة فى حياتك.. مرحلة تسعى فيها إلى الله.. وطريق الله.. مرحلة تستعد فيها لآخرتك.. اغتنم فرصة الحج.. إنه رحمة تطهرك من الذنوب.. بأمر الله.. وبمشيئة الله..

واعلم أن الشيطان لن يتركك لأنه كلما ازددت إيمانا بذل الشيطان جهدا أكبر ليغريك بالمعصية.. فليكن الحج بداية لهجر المعاصى والإقبال على طاعة الله.. عبادة، وخلقا، وسلوكا حبا لله وحمدا وشكرا له وحده جل جلاله.

الركن الثالث: طواف الإفاضة:

وهو ركن رئيسى من أركان الحج لقوله تعالى:
﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (الحج: ٢٩)

والطواف هو الدوران حول الكعبة سبعة أشواط، وطواف الإفاضة هو طواف الحاج ببيت الله الحرام بعد النزول من عرفات، وذكر الله عند المشعر الحرام بالمزدلفة والانتهاء من رمى جمرة العقبة.

ونية الطواف هى عزم القلب على الطواف بالبيت الحرام تعبدا لله تعالى، ويستحب للطائف أن يذكر الله خلال الطواف ويدعو ويقرأ ما تيسر من القرآن الكريم.



وفى الكعبة وعندما تطوف ببيت الله الحرام يشعرك المكان كله بالرهبة والخشوع والحب الإلهى. . تحس بالصفاء يحتويك، وأجنحة السلام الروحى ترفرف على قلبك ونفسك.

ولطواف بيت الله الحرام آداب واحترام وقدسية تجد نفسك تلتزم بها حيث الصمت والبكاء. . البكاء من الرهبة. . البكاء من الخشوع. . البكاء من قمة الحب الإلهى وتجد نفسك عاجزا أمام حب الله. . لا تعرف كيف تشكره وتحمده على لمسات حنانه عليك وأنه سبحانه أنعم عليك واختارك لتلبى دعوته فى أداء فريضة الحج وجاءت الفرصة لتطوف بيته فلتذكره كثيرا وتحمده كثيرا راكعا ساجدا حبا وحمدا وشكرا له. . ساعيا إلى طريقه. . وتشعر فى كل لحظة أن كل ما تقدمه من عبادات لا يكفى حمدا وشكرا على نعمه.

إنها لحظات تتجلى فيها قمة العبودية لله. . وقمة الحب الإلهى. . ولمسات حنانه. . وآثار رحمته. . ولا تستطيع غير أن تقول بكل ذرة فى كيانك وبإخلاص وصدق وصفاء لا يعلمه إلا الله وحده.

«الحمد لله رب العالمين»



بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانى الحمد والشكر والثناء على الله.

وتطوف السبعة أشواط فرحا.. سعيدا.. مستبشرا.. آمنا.. مطمئنا.. لا تعرف كيف أديت الطواف بهذا النشاط وبهذه القوة وسط هذا الزحام الهائل وأنت الإنسان المحب للهدوء فى كل مكان.

إنه بلا شك فضل الله عليك.

وتنتهى السبعة أشواط بسرعة فائقة تزيدك تأدبا مع الله.. إيمانا بالله.. حبا لله.. داعيا الله أن يهذبك ويؤدبك ويقومك ويجعلك فى الصورة التى يرضى بها عنك ويهديك إليه وإلى صراطه المستقيم.

ويشترط لصحة الطواف ما يشترط لصحة الصلاة عند الشروع فيه كما يشترط أيضا تتابع الأشواط ولا يجوز للحاج أن يؤذى الطائفين بالمزاحمة أو الدفع. والمزاحمة التى تؤدى إلى الإيذاء غير مطلوبة، والذى يتعب الحاج فى أداء مناسك الحج هو سلوك بعض الحجاج أنفسهم.. فمثلا إنسان يريد أن يطوف من الناحية الضيقة القريبة من الكعبة ولا يريد أن يطوف من الناحية الواسعة



مع أن كل واحد منا لو طاف دون أن يحـاول أن يتقدم على غـيره أو يضايقه أو يصطدم به لتم كل شيء في سكينة ويسر.

وبعد انتهاء أشواط الطواف السبـعة يصلى الحاج ركعتين خلف مقام إبراهيم عليه السلام، ويفضل أن يقرأ فى الركعة الأولى بعد الفاتحة «سورة الكافرون» وفى الركعة الثانية «سورة الإخلاص».

الركن الرابع: السعى بين الصفا والمروة:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ﴾ [البقرة: ١٥٨]

والسـعى هو الانتقـال من الصفـا إلى المروة وبالعكس سـبعـة أشواط، والصفـا هو جبل صغير قريب من الكعـبة يبدأ من عنده السعى فى اتجـاه المروة، وأما المروة جبل صغـير آخر فى مواجـهة جبل «الصـفا» ويتم السعى بينهـما ويبلغ طول الطريق بين الصـفا والمروة حوالى ٣٧٥مـترا ويقع داخل حـدود الحرم المكى وله دور علوى لتيسير السعى خلال موسم الحج.

ويشترط لصحة السعى بين الصفا والمروة ما يلى:

- أن يكون السعى سبعة أشـواط تبدأ بالصفا وتختم بالمروة ولا يجوز للـحاج أن ينقص عدد الأشـواط أو يقصـر من مسـافة كل شوط.



- أن يقع السعى فى ترتيب المناسك وأعمال الحج والعمرة بعد طواف صحيح.

- لابد من تتابع الأشواط متصلة.

- أن يكون السعى فى المسعى وهو الطريق الممتد بين الصفا والمروة لفعل رسول الله ﷺ مع قوله: «خذوا عنى مناسككم».

والسعى بين الصفا والمروة يذكرك بقصة سيدنا إسماعيل عليه السلام، وأمه هاجر عندما تركها سيدنا إبراهيم عليه السلام عند بيت الله الحرام ومعها زاد قليل لم يلبث أن نفد وجاعت الأم وعطشت وجاع ابنها الرضيع وعطش، وأصبح يتلوى باكيا صارخا فى منظر يفتت القلوب ولم تتحمل الأم رؤيته على هذه الحالة فانطلقت تنظر إليه على هذه الحالة فوجدت الصفا أقرب المرتفعات فأسرعت نحوه وارتقت عليه وأخذت تجيل بصرها فى الوادى هل ترى من أحد فلم تر أحدا.

فهبطت من الصفا وسعت سعى الإنسان المجهود وقد أنهكها الجوع والعطش تدفعها عاطفة الرحمة بابنها وأخذت تسعى حتى جاوزت الوادى ووصلت إلى جبل المروة فارتقته وأخذت تنظر



وعادت من جـديد هابطة وهكذا أخذت تتردد بين الصـفا والمروة سبع مرات.

وهذا هو أساس منـسك السعى بين الصفـا والمروة فى شعـيرة الحج. إن الحاج إلى بيت الله الحرام يسعـى بين الصفا والمروة سبع مرات. إنه فى هذا يترسم خطى هذه السيدة انه يرسمـها مستشعرا ما كانت تشعر به من رحمة وحنان.

وإذا كانت رحـمتـها وحنانهـا إنما كانا من أجل ابنهـا الرضيع الميسكين فإن الرحمة التى ينبغى أن يستـشرف إليها الحاج راجيا أن تملأ نفسه وأن تفـعم جوانحه إنما هى الرحمة الإنسانيـة جمعاء.. الرحمة بكل من يحس بالألم أو يشعـر بالضيق بسبب ما يحل به من جوع أو ظمأ، أو بسبب ما يحيط به من مكر وكيد، أو بسبب ما يشعر به من خوف وقلق، الرحـمة بكل من كان فى حاجة إلى الرحمة.

ومن آداب هذا المنسك أنـه يعلمنا الصـبـر والرحـمـة والحنان والارتباط بالله وحـده، والثقة بالله وعنايتـه ورعايته فـبالرغم من حالة الحـيرة والقلق التى احتـوت نفس هاجر على ابنهـا الرضيع وأخذت تسـعى باحثـة عن أحد أو عن زاد وماء لابنهـا ولنفسـها



ولكنها فى نفس الوقت بل وفى نفس لحظات القلق التى انتابتها كان عندها ثقة بالله، ما دام هذا هو أمر الله إذن لن يضيعهما أبدا، وتلك هى قمة الإيمان الذى تتجلى فيه أجمل معانى الارتباط بالله والثقة فى الله واللجوء إلى الله والاستعانه به هو وحده مالك الملك رب كل شىء، رب العالمين، رب العرش العظيم.. عندما يشاء يسخر كل شىء لإرادته ومشيئته وحده.

وأنت أيها الحاج إذا كنت محبا لله تسعى إليه وإلى طريقه تؤدى هذه الشعائر بحب وبإحساس عميق يملأه الإخلاص والصدق وليس مجرد حركات تقوم بها تجد نفسك وأنت تسعى بين الصفا والمروة تشعر بالرحمة تحتويك لا تعلم من أين جاءت، وتحس بالحنان والود لكل شىء والألفة مع كل شىء. رحمة تعلمك الصبر.. ود يدفعك إلى الهدوء والسلام وبذلك تقتل كل ما فى نفسك من غرور وكبر وتسلط ورياء.

الركن الخامس: الحلق والتقصير:

قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ﴾ [الفتح: ٢٧]



والحلق: يكون لشعر الرأس كله، وهو للرجال أفضل من التقصير وهو محظور بالنسبة للمرأة.

أما التقصير: فهو قص بعض الشعر على جانبى الرأس، وبهما يتم التحلل من الإحرام.

يرى بعض الفقهاء أن الترتيب بين معظم أركان الحج يمثل - فى حد ذاته - ركنا آخر من أركان الحج كما يرى الشافعى مثلا بينما يرى باقى الفقهاء أن الترتيب شرط لا ركن، ولكن يشترط تقديم الإحرام على جميع أركان الحج الأخرى، وتقديم الوقوف بعرفة على طواف الإفاضة، كما يشترط فى السعى أن يكون بعد طواف صحيح حول البيت الحرام.

هناك أعمال أخرى تأتى بعد أركان الحج وشروطه وهى واجبات الحج.

والواجب هو العمل الذى لو تركه الحاج لم يبطل حجه، ولكنه يأثم إذا تركه متعمدا ويجب عليه فى حالة عدم أدائه أصلا أو الإخلال بأدائه على الوجه الصحيح أن يذبح فداء - أى يجب عليه دم - وواجبات الحج المتفق عليها أربعة هى:

١ - **الإحرام من الميقات** للقادم من خارج الحرم وهو واجب متفق عليه لحديث الرسول ﷺ:

«ولا تجاوزوا الميقات إلا بإحرام».

والمراد هنا هو الميقات المكانى، ومن عبـر الميقات دون أن يحرم فعليه ذبح شاة.

٢ ـ النزول إلى المزدلفة والدعاء عند المشعر الحرام:

عقب غـروب شمس التـاسع من ذى الحجـة وبعد الفـراغ من الوقوف بعرفات يبدأ الحجاج فى النزول إلى المزدلفة، والنزول هو الإفاضة التى ذكرها الله عز وجل فى كتابه الكريم:

﴿ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ﴾ (البقرة: ١٩٨)

والفائض هو الـشىء الذى يزيد ويفيض عن المألوف والإفـاضة هنا بمعنى دفعتم منها بكثرة.

وهذا حكم من الله مسبق بأن عرفات ستمتلئ عند الخروج منها امتلاء يكون فائضا عن العدد المحدد لها فكأنه يفيض.

وهناك إفاضـة ثانية بعد الإفـاضة من عرفات هى الإفـاضة من المزدلفة إلى منى التى ذكرها القرآن الكريم فى قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ ﴾ (البقرة: ١٩٩)

وعندمـا يصل الحاج إلى المزدلفـة يصلى المغرب والـعشاء بـها



جمــعا وقصــرا جمع تأخـير بأذان واحد وإقــامتيــن، والجمع بين المغرب والعشاء فى المزدلفة سنة عن الرسول ﷺ، والمبيت بالمزدلفة واجب ويرى بعض الفقــهاء أن الواجب يقتصر عــلى الحضور إلى المزدلفة قبل فجر يوم العيد وكــما يتحقق الوقوف بعرفة بأى شكل كذلك يتحقق الوقوف بالمزدلفة بمجرد الوجود بأى شكل سواء كان الحاج واقفا أو سائرا أو نائما.

ومن الآداب التى يجب أن يلتزم بها الحاج فى هذا المكان التزام الهدوء والإكثار من الذكر والتسبيح والحمد والدعاء.

ومن السنة أن يصلــى الحاج الفــجـر لأول الوقت بالمزدلفــة ثم يقف بالمشعــر الحرام وهو يقع فى نهاية المزدلفــة، وقبل منى بقليل إلى أن تطلع شمس أول أيام عيد الأضحى.

ويجـوز للحــاج أن يتوجـه من المزدلفــة إلى منى مـبكرا بعــد منتصف الليل استعدادا لرمى الجمار.

٣ ـ المبيت بمنى:

وفى صــباح يوم العــيد يتـوجه الحــجاج من المزدلفــة إلى منى استــعدادا لرمى الجمــرات ويجوز له التوجــه مبكرا بعــد منتصف الليل، وعلى الحاج أن يكثـر من التلبية خلال رحلتـه من المزدلفة



إلى منى، وعليه أن يتوقف عند التلبية عن بـدء رمى جمرة العقبة الكبرى.

ومن واجبات الحج المبيت بمنى ليلة الحادى عشر، والثانى عشر من ذى الحجة للمتعجل، وليلة الثالث عشر لمن أراد البقاء.

ويسقط واجب المبيت بمنى عن أصحـاب الأعمال الضرورية أو للأعذار الشديـدة كما يجوز ذلك لمن أراد متـى تم رمى الجمرات فى أوقاتها.

كما يجـوز البقاء بمكة حتى منـتصف الليل ثم إتمام باقى الليل فى «منى» ويكره للحـاج ألا يبيت فى منى ويلزم لمن لم يـبت بها أن يجىء إليها لرمى الجمـرات ويجوز رمى الجمرات فى كل وقت ولكن الرمى بين الظهر والمغرب أفضل.

٤ ـ رمى الجمرات:

يبدأ الحاج أعـمال يوم النحر ـ أول أيام عيـد الأضحى ـ برمى جمرة العقبـة الكبرى بسبع حصيات متعـاقبات، ويرفع الحاج يده مكبرا عند رمى كل حصـاة، ويمكن الرمى فى أى اتجاه بشرط أن يتأكد الحاج من وقوع الحصى داخل المرمى المحدد.

ويرمى الحـاج فى ثانى أيام العـيد الجـمرات الـثلاث مـبتـدئا

بالصغرى ثم الـوسطى ثم الكبرى: ٢١ حصاة للجـمرات الثلاث فى كل يوم من أيام التشـريق الثلاثة، ثانى وثالث ورابع أيام عـيد الأضحى المبـارك بمعدل سبع حـصوات لكل جـمرة وبذلك يكون مجموع ما رماه ـ بما فى ذلك حصى جمرة العقبة الكبرى أول أيام العيد سبعون حصاة.

ويقتصر الرمـى أول أيام العيد على جمرة العقبـة الكبرى ويبدأ الرمى من ظهـر كل يوم من أيام التشـريق وحتى غـروب الشمس ويجوز فى كل وقت ولكن يفضل الرمى بين الظهر والمغرب.

ويجـوز للحاج الذى لا يسـتطيع الرمى ـ للمـرض مثـلا ـ أو الحاج المسن أن ينيب من يرمى بدلا منه بعد أن يكون قد رمى عن نفســه، وكذلك المرأة يجوز لها أن تـوكل من يرمى بدلا منها فى حالة عدم استطاعتها أن ترمى بنفسها.

وحكمـة رمى الجمـار فى الحج إنما هى رجم مصـدر من أهم مصادر الشر والإثم والمعصية وهو إبليس.

وتبدأ قـصة الرجم عندما اسـتعد سـيدنا إبراهيم عليه السلام لتنفيذ الرؤيا التى رآها طاعة لأمر الله حيث رأى أنه يذبح ابنه إسماعيل، وتهيـأ كل شيء لتنفيذ الرؤيـا بعد أن أخبر ســيدنا إبراهيم عليه السلام



ابنه بأمر الله، والحكمة فى مشاورة الابن أن الوالد أحب أن يأتى ابنُه رغبة وطاعة فيكون له الأجر والثواب واستسلم الأب والابن لأمر لله بحب ورضا.

وجاء الشيطان يوسوس إلى إبراهيم عليه السلام موحيا بأن الأمر لا يخرج عن أن يكون رؤيا، وكم من الرؤى من أضغاث أحلام وهل من العقل أن يذبح إنسان ابنَه مطيعا رؤياه.

وأحس سيدنا إبراهيم عليه السلام، بأن الشيطان يريد أن ينفذ إلى قلبه، وإلى تفانيه فى الله، وإلى موطن اليقين والرضا من قلبه، وعرف أنه يريد أن يفسد عليه طاعته لله.

فرجم الشيطان بسبع حصيات ورده خاسئا مدحورا.

ولم ييأس الشيطان وهو العنيد اللجوج، فانصرف عن الأب إلى الابن، وأحس الابن بالمحاولة الخبيثة وعرف أنها محاولة شيطانية فرجم الشيطان بسبع حصيات.

ولم ييأس الشيطان للمرة الثالثة فذهب مسرعا إلى الأم يحذرها من ذبح ابنها ويطلب منها أن تنقذه قبل فوات الأوان ولكنها رجمت الشيطان لثقتها بأن زوجها لا يتصرف إلا فى إطار الوحى، لقد رجمته هى الأخرى بسبع حصيات.



وهكذا رجم الجميع مصدرا من أهم مصادر الشر وهو الشيطان، وأصبح هذا السلوك من مناسك الحج وبه تنتهى أعمال الحج حيث إن رمى الجمرات يبلور عزم الحاج على هجر المعصية والابتعاد المطلق عن الإثم.. فإنك حينما تأتى لترجم الشيطان فأنت فى الواقع تريد أن تسد عليه المداخل التى يدخل منها إلى نفسك.

وعند رمى الجمرات يجب أن يلتزم الحاج بالهدوء والنظام وأن يعقد العزم والنية على ألا يعود إلى المعصية وأن يصمم على ألا يعطى للشيطان فرصة للتسلل إلى نفسه فيفسد عليه طاعته لله عزوجل، وأن ينشغل دائما بذكر الله فى كل لحظة حتى يصبح فى دائرة النور الإلهى.

٥ ـ طواف الوداع:

وبعد أن يكون الحاج قد أدى ما عليه من أركان الحج وواجباته: من الطواف حول البيت، والسعى بين الصفا والمروة، والوقوف بعرفة فى الوقت المحدد، والدعاء عند المشعر الحرام بالمزدلفة، ورمى الجمرات فى منى.. فله أن يقيم بمكة المكرمة مستمتعا بالطواف بالكعبة والنظر إليها.. فالنظر إليها عبادة



والصلاة بالمسجد الحرام والدعاء والابتهال وتلاوة القرآن الكريم إلى أن يحل موعد سفره عائدا إلى وطنه أو مواصلة رحلته المقدسة لزيارة مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة المنورة لمن ذهب إلى مكة أولا.

فليكن آخر ما تفعله عند مغادرة مكة قبل السفر مباشرة أن تودع البيت بطواف الوداع.. تطوف وتدعو أن يتقبل أعمالك ويتجاوز عما كان منك من خطأ أو نسيان وأن يعيدك مرات ومرات ولا يجعل هذا آخر عهدك بالبيت.

﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]

وطواف الوداع ليس ركنا من أركان الحج ولكنه واجب من واجباته.

هكذا علمنا الله شعائر الحج وأخذناها عن رسوله الكريم حيث قال ﷺ: «خذوا عنى مناسككم».

ويجب على الحاج أن يكثر من الثناء على الله لتفضله عليه بتيسير هذه الرحلة المباركة، وجاء بكم مؤمنين لبيت الله الحرام ثم تعودون.. وهذه مسألة تستحق الشكر والعرفان وأن يوالى الذكر لقوله تعالى:



﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٩٨)

لأن هدايته لكم علمتكم أقصر طريق إلى الخير. . وعلمتكم طريق المغفرة. . ويسرته لكم مالا وصحة وسعيا. . ولذلك فإن هذه النهاية من الله تستحق الذكر والشكر.

ولكل منسك من مناسك الحج سواء أكان ركنا أو واجبا آدابه وأخلاقياته التى يجب أن يتزكى بها الحاج، ومن يحب الله يسعى للالتزام بآداب شعائر الحج.

فأنت عندما تنوى الإحرام لأداء فريضة الحج تشعر وكأنك ملاك يمشى على الأرض. . تحس بالنقاء والصفاء يحتويك وترى أن الدنيا صغيرة جدا ولا تستحق أن تسرع إلى ملذاتها وتنغمس فى شهواتها ناسيا الله وفضل الله عليك.

فى هذه اللحظة. . وهذه اللحظة فقط تتضح الرؤية أمامك وتعقد العزم على أن تكون الدنيا فى يدك وليست فى قلبك، وأنت الذى تملكها وليس هى التى تملكك.

وتسعى إلى التفكر فى الخلق القرآنى، والآداب الإسلامية طامعا فى أن تتحلى بسمات وسلوكيات العبد الصالح الذى يرضى عنه الله ويستحق أن يكون خليفته فى الأرض.



إن شعائر الحج جميلة ومحببة إلى النفس. . وآدابها سامية تعلو بالنفس إلى درجة من درجات الترقي والفضيلة والإحسان حيث يحتذى الإنسان المحب لله بآدابها وأخلاقياتها النابعة من آداب الإسلام، وأخلاق القرآن الكريم، وسلوكيات الأنبياء عليهم جميعا السلام فى مواقف الحياة المختلفة.

قال الله تعالى:

﴿ ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ (الحج: ٣٢)

ولقد ربط سبحانه وتعالى العظيم شعائره بالتقوى، والتقوى هى أن يقى الإنسان نفسه من غضب الله وعذابه بالابتعاد عن ارتكاب المعاصى والالتزام بمنهج الله تعالى الذى رسمه لنا فى القرآن الكريم، وبينه لنا رسول الله ﷺ فنفعل ما أمرنا الله تعالى به وتبتعد عما نهانا عنه.

ويتضمن مفهوم التقوى أيضا أن يتوخى الإنسان دائما فى أفعاله الحق والعدل والأمانة والصدق وأن يعامل الناس بالحسنى، ويتجنب العدوان والظلم، وأن يؤدى الإنسان كل ما يوكل إليه من أعمال على أحسن وجه لأنه دائم التوجه إلى الله تعالى فى كل ما يقوم به من أعمال ابتغاء مرضاته وثوابه.



وبهذا المعنى تصبح التقوى طاقة موجهة للإنسان نحو السلوك الأفضل والأحسن ونحو نمو الذات ورقيها، وتجنب السلوك المنحرف الشاذ.

وكل هذه الصفات من آداب شعائر الحج وأخلاقياته التى يجب أن يلتزم بها الحاج فى رحلته، وبهذه الأخلاقيات يعظم شعائر الله، ومن يعظم شعائر الله يحظى بصفة التقوى ويصبح من المتقين.

ولنتأمل التعبير القرآنى حيث أثنى الله عز وجل على من يعظم شعائر الله أنها من تقوى القلوب.. فالقلب هو محل التقوى.

ولا يرتبط تعظيم شعائر الله بكيفية عمل أو أداء هذه الشعائر فقط وإنما تعظيمها عبادة وخلقا وسلوكا مما يكون له الأثر الفعال فى حياة الإنسان المختلفة.

وهكذا يعود الحاج من رحلته شخصا جديدا.. إنسانا آخر وكأنه ولد من جديد.. يبدأ صفحة جديدة فى حياته.. يتملكه حب الله.. ويسكنه نور الله.. يضىء حياته بسلوكياته التى تقربه إلى الله، وينير طريقه بعمله الصالح الذى يرضى الله.. فيهجر



المعاصى، ويبتعد تماما عن الآثام والخطايا، ويتخذ الشيطان وحلفاءه وأولياءه أعداء له. . يرجو من الله أن ينجيه منهم ويرحمه وألا يكون لهم عليه من سلطان.

«اللهم لا تسلط علينا من لا يخافك ولا يخشاك، اللهم لا تولى أمورنا إلى من لا يرحمنا، واحمنا ونجنا من القوم الظالمين وارحمنا واحفظنا فأنت سبحانك خير الحافظين وأرحم الراحمين».

وبذلك يصبح خُلق الحج وآدابه نبراسا للحاج يضىء له الطريق فى رحلة عمره الباقية.



سلوكيات تتنافى مع عبادة الحج

الحج عبادة وليس نزهة ولابد من احترام مناسك الحج واتباع السلوكيات التى تتفق مع ديننا الحنيف نابعة من الأخلاق القرآنية والآداب الإسلامية والاقتداء برسول الله ﷺ. . الأسوة الحسنة لنا فى كل زمان ومكان.

ومن المؤسف أننا نلاحظ بعض السلوكيات أثناء الحج بين بعض الحجاج لا تتوافق مع ديننا الحنيف مثل: المزاحمة الشديدة وعدم ترك مكان للغير لكى يؤدى العبادة وشغل مساحة كبيرة من المكان لفرد واحد وعدم التعاون فى إفساح المكان للآخرين لأداء العبادة.

إن ظاهرة حجز الأماكن فى المسجد الحرام منتشرة وخاطئة حيث يحجز بعض المصلين من أهل مكة أو غيرها أماكن فى الصفوف الأولى. . هذه الأماكن ليست من حقهم لأن الصف الأول لمن دخل المسجد أولا. . لأنه الأحق به. . والنظام المتبع فى المساجد أن يجلس كل واحد بجانب أو خلف من سبقه فى الدخول. . فإذا امتلأ الصف الأول يأتى الصف الثانى ثم الثالث ثم الرابع. . بحيث كل من يأتى يجد المكان المناسب له.



لقد نهى رسول الله ﷺ عن حجز الأماكن فى المساجد لأنها محاولة للتميز فى مقام الحضرة الإلهية التى يتساوى فيها الجميع.. ولا يوجد مكان يحجز فى المسجد إلا مكان الإمام.. ويجعل له طريق بحيث يستطيع أن يذهب ليؤم الناس دون أن يتخطى الرقاب أو يؤذى أحدا.

يزدحم المسجد الحرام فى موسم الحج بالحجيج.. وكثير من الناس يتزاحمون فى دخول المسجد فى الوقت الذى يتزاحم آخرون على الخروج.. فيصطدم الداخلون والخارجون.. وبعضهم لا يجد مكانا للصلاة داخل المسجد والسبب أنهم يعتقدون أن الصلاة داخل جدران المسجد مضاعفة للثواب أما خارجه فلا.

ونود أن نشير إلى أنه فى حالة ضيق المسجد بالمصلين وصلى الحاج خارج المسجد فإن له نفس الثواب مادامت الصفوف متصلة.. فإذا انتهت الصلاة تنتهى المسجدية بالنسبة للطريق.

فى نهاية الطواف يصلى الناس ركعتى سنة عند مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام حيث قال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ (البقرة: ١٢٥)

فإن هذه المكان يزدحم ازدحاما شديدا وخاصة فى موسم الحج



حيث يتعرض المصلون فى هذا المكان إلى مرور الطائفين حول الكعبة أمامهم وهم يصلون، وأحيانا يصل الأمر إلى أن يمتد الطواف حتى يصل إلى مكان المصلين مما يجعل هذا المكان شديد الازدحام مما يدفع الحاج إلى أن يؤدى الصلاة سريعا دون خشوع حتى لا يتعرض إلى الزحام الشديد وبالتالى إلى الأذى.

وهنا دعوة إلى المسئولين ورجال الدين فى السعودية للعمل على إيجاد حل فى هذا الأمر لمساعدة الحجاج على أداء الصلاة فى خشوع وثبات وهدوء فى هذا المكان المزدحم دون عجلة ودون خوف من التزاحم الشديد مما يؤثر ذلك على أداء الصلاة التى من أهم متطلباتها الصفاء والخشوع.

ومن السلوكيات الشائعة.. والتى تتنافى مع عبادة الحج الإساءة بألفاظ اعتراضية غير لائقه تجرح الحاج مما يظهر عدم التعاون واهتمام الفرد فقط بمصلحته وحاجته الخاصة دون مراعاة للآخرين مما يفسد عليه حجه وصفاءه فى هذه الرحلة المقدسة.

ومن المفاهيم الخاطئة والشائعة والتى قد يلاحظها كل زائر إلى مكان أو المدينة المنورة التمسح على الجدران ثم المسح على الوجوه بقصد البركة وهذا سلوك خاطئ وضد تعاليم الإسلام.. لأن



البيت الحرام والمسجد النبوى الشريف تملأهما البركة. . بركة الرضا. . وبركة منع الأذى عن الناس، وبركة الإيمان وبركة خشية الله، وبركة قتل الغرور فى النفس. . إنها بركة واسعة تمتد من الدنيا إلى الآخرة.

ولا توجد فترة يعيش فيها الإنسان منهج الله أكثر من فترة الحج. . قبل الأذان يهرول إلى بيت الله الحرام، ويظل جالسا يصلى ويسبح ويقرأ القرآن ويستحى أن يقدم على معصية أو يمر عليه الوقت ولا يصلى جماعة. . ولا يشغل نفسه إلا بطاعة الله.

وأن البركة تطلب من الله وليست من التمسح بالجدران، والعبد الذى يحب الله ويخشى الله يطلب دائما ويلح فى طلبه أن يمن الله عليه بالبركة فى كل لحظة فى حياته.

إن البركة مطلب ضرورى للإنسان ولا تأتى إلا من رضا الله وبرحمة الله، ولا تمنح إلا لمن يشاء الله أن يعطيه ويمنحه من فضله العظيم وعطائه الفياض. . إنه هو سبحانه الوهاب.

وننتقل فى حديثنا عن السلوكيات التى تتنافى مع عبادة الحج من مكة إلى المدينة المنورة عند زيارة الرسول عليه الصلاة والسلام فنلاحظ الصلاة عند قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وشغل



مساحة كبيرة للصلاة فى هذا المكان مما يعيق حركة السير والمرور للآخرين لزيارة الرسول عليه الصلاة والسلام.

ونود أن نشير إلى أنه يفضل الصلاة عند الروضة الشريفة فالصلاة هناك لها ثواب كبير أما مكان قبر الرسول ﷺ فهو مخصص لزيارته والسلام عليه ﷺ وحتى تتاح الفرصة والمكان لأكبر عدد من الزائرين للقيام بهذه الزيارة المباركة.

هناك سلوك آخر ملحوظ عند قيام النساء بالزيارة وعندما يقتربن من الرسول عليه الصلاة والسلام تنتشر الزغاريد فى كل مكان.

صحيح أنه سلوك فطرى يعبر عن فرحتهم وشكرهن لله لأنه وفقهن ويسر لهن زيارة الرسول ﷺ ولكن للمسجد قدسيته واحترامه وهيبته ونرى أنه من الأفضل أن يسجدون حمدا وشكرا لله ويكثرن من التسبيح وذكر الله وحمد الله كتعبير عن فرحتهن وامتنانهن لله سبحانه وتعالى الذى حقق لهن أداء هذه الزيارة وبذلك يتوفر ويتحقق للمكان القدسية والرهبة والخشوع الذى يصاحبه الهدوء والسلام.

وهناك صفة سائدة وملازمة لبعض الحجاج ونلاحظها فى مكة



أو المدينة المنورة وهى الدفع بالأيدى مما يؤذى الإنسان الضعيف أو المسن أو المرأة.

وفى البداية والنهاية لا أستطيع غير أن أسجل شيئا هاما وهو أننا فى أشد الحاجة لمراعاة قول الله تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢)

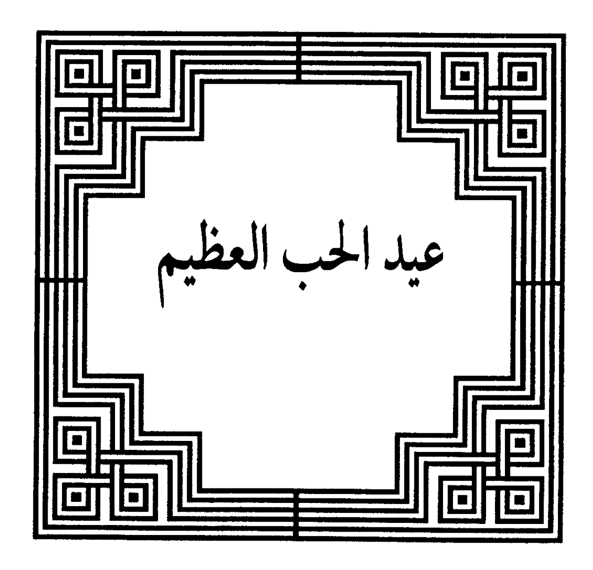
فلنتعاون ونتحد جميعا ونفسح لبعضنا البعض ونحرص على مساعدة بعضنا لأداء فريضة الحج بسلام، ولأداء العبادة بهدوء وثبات وأن نتمسك بتعاليم ديننا الحنيف ونبتعد عن المفاهيم والسلوكيات التى تتنافى مع أخلاقيات دين الإسلام.. الدين الذى اصطفاه الله لنا، والذى إن تمسكنا به لن نضل أبدا.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران: ٨)

إننا جميعا فى موسم الحج فى معية الله وضيوف الرحمن.. فلننتهز هذه الفرصة لننعم بالفيوضات الإلهية.. والتجليات الرحمانية.. والفتوحات الإشراقية فيصبح الحاج عبدا نورانيا بأمر الله.. وبرحمة الله.. يحتويه نور الله.. ويسكنه حب الله.. ويملأه الرضا والسكينة والسلام.



الفصل الخامس



عيد الحب العظيم

عندمـا يهل علينا عيـد الأضحى المبـارك تتجلى أمـامنا آية من آيات الحب الإلهى. . ففى نفس الوقت الذى يحتفل فيه المسلمون بذبح الأضاحى، يحتفلون بقصة حب الإنسان لله عزوجل. .بقصة النبى الذى أمره الله أن يذبح ولده فأطاع وكـانت طاعته إشارة إلى أن المسلم هو الذى يحب الله أكثر مما يحب نفسه أو أبناءه.

والحب هو إكسير الحياة، ونبض الوجود، وسر السعادة القلبية، وأعظم أنـواع الحب هو الحب الإلـهى . . منه يـنبع الحنـان، وبه يستقـر الأمان، وفيه تسكن المودة، وعنه تنبعث الألفـة مع جميع الكائنات والمخلوقات، وإليه يصل الـقلب إلى الغاية المنشودة وهى السـعـادة الكامـلة حـيث يـكمن الحب والحنان الإلـهى، والنور الربانى، والفيض الرحمانى.

ولأن الذكـرى تنفع المؤمنين فنحن فى عـيـد الأضحى المبـارك نذكر ونتذكـر قصة إبراهيم عليه السلام وهو النبى الذى ابتلاه الله ببلاء مبـين . . بلاء فوق قدرة البـشر حيث ابتـلاه الله بذبح ابنه الذى جاءه على كبر . . وكان إبراهيم هو العبد الذى وفى.

قال تعالى فى سورة النجم:

﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾ ﴾



لقد كان ابتلاء الله لإبراهيم ابتلاءً مبينًا، وكان إسماعيل ابنه من الصابرين على هذا البلاء.

وهنا أثبت إبراهيم بطاعته لأمر الله بأن حبه لله أعظم وأهم من أى شىء آخر .. فجاءت رحمة الله ولمسات حنانه له بأن فدى الله إسماعيل بذبح عظيم وبذلك تكون طاعة سيدنا إبراهيم عليه السلام لربه عيدًا يحتفل به المسلمون كل عام .. عيدًا يذكرهم بمعنى الاسلام الحقيقى الذى كان عليه إبراهيم واسماعيل عليهما السلام، ويذكرهم بقصة حب الإنسان لله وطاعته لأمره حبًا له هو وحده.

وبذلك يصبح عيد الأضحى المبارك هو عيد الحب العظيم.

وإذا تأملنا فى قصة إبراهيم عليه السلام نجد أنها قصة تبلور صفة الحب لله الذى تغلغل فى كيان سيدنا إبراهيم عليه السلام حتى أصبح يحيا به وله، وما أثمر هذا الحب من صفة الطاعة لأمر الله حبًا له وحده، والصبر على بلاء الله تقربًا إلى الله.

وتتبلور أمامنا فى هذا البلاء العظيم وكما تكشف لنا الأحداث من قصة إبراهيم عليه السلام صفة الصبر التى اتصف بها سيدنا إبراهيم، صبره على ابتلاء الله له حبًا له وحده، وصبر إسماعيل



عليه السلام حيث تقبل أمر الله برضا وحب .. فأنعم الله عليهما بلمسات حنانه وآيات حبه ونسمات رضاه بأن أنقذهما جزاء على صبرهما وطاعتهما لأمر الله.

وإن دل هذا كله على شيء فإنما يدل على أن الإنسان الذى يسلك طريق الحب الإلهى وتحيا نبضاته بحب الله تهون أمور الدنيا أمامه ولايسعد بشيء إلا بحب الله فقط فيعمل ويسلك طريقه حبًا لله، ويصبر على ابتلاء الله له حبًا له حامدًا شاكرًا راضيا سعيدًا بما آتاه الله طامعًا فى رحمة الله ورضاه ساعيًا إلى القرب منه وحده.

وما أحوجنا فى هذه الأيام ونحن نشاهد صور الإرهاب فى كل مكان إلى أن نقف وقفة مع أنفسنا ونحن على جبل عرفات متضرعين إلى الله سائلين إياه الرحمة والمغفرة، نتذكر قصة إبراهيم عليه السلام .. قصة الحب العظيم ونستفيد منها دروسًا فيها العبرة والموعظة مليئة بلمسات حية ناطقة وشاهدة بالحب الإلهى فنتخلص من شوائب الحقد والكراهية والأنانية والطمع الذى أصبح سائدًا فى هذه الأيام ونطهر أنفسنا بالحب والخير والإنسانية

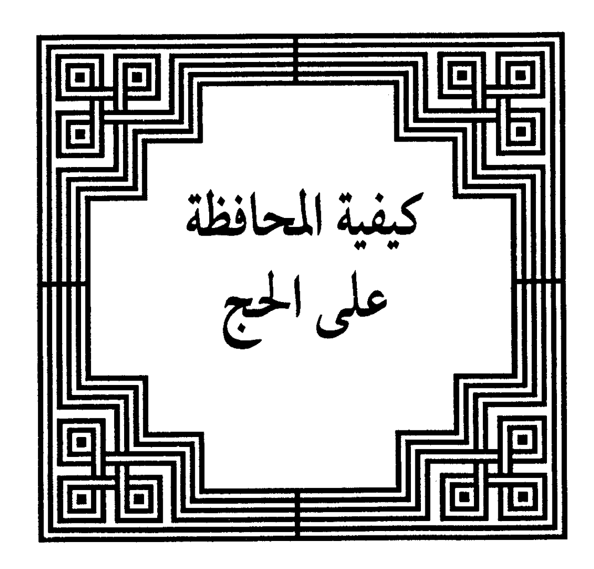


ممتثلين إلى أمر الله تعـالى بأن نتعاون على البر والتقـوى حبًا لله، وحبًا فى الله، وتقـربًا إلى الله . . وأن نجعل حب الله هو القانون الذى يحكم حياتنا وهو الرسـالة المثلى التى تقودنا إلى القرب من الله.





الفصل السادس



لقد دعانا الله جل جلاله فى كتابه العظيم «القرآن الكريم» إلى التأمل والتفكر والتبصر والتدبر والتعقل فى آيات الله فى الكون والحياة والوجود، وأن نتعلم مما يدور حولنا ويجرى أمامنا من أحداث هى دروس فيها العظة والعبرة.

فكما أن الحج عبادة فى طريق الله، فالتأمل أيضا عبادة فى معية الله.

فالتأمل هو نبض الحياة، وإذا توقف الإنسان عن التأمل.. توقفت نبضات حياته عن العمل، وفقد معنى كل شىء جميل يستطيع أن يشعر به ويتفاعل معه كيانه كله ثمرة لتأمله فتصبح أيامه هباء ولحظات عمره سُدى.

إننا لا نريد أجسادا تأكل وتشرب بلا تأمل ولا عمل، وإنما نريد عقولا تتأمل وتتفكر فى خلق الله.. وعظمة الله.. وقدرة الله فتثمر لنا الخير بأمر الله، وقلوبا تنبض بحب الله فتزرع لنا الجمال فى الأرض بفضل الله.

إننا لا نريد أناسا تغلق على نفسها الأبواب لكى تقيم الشعائر والعبادات فقط، وإنما نريد أناسا تؤمن بالله وتحب الله.. وتعبد



الله.. وتتأمل فى عظمـة الله وآيات صنعه وخلقـه.. وتتفكر فى آفاق الوجود بأكمله فتنتج لنا الرخاء والخير وتبين لنا ثمار تأملاتها فتعم الفائده على الجميع.

وطالما أننا نسلك طريق الله مجاهدين مجتهدين باحثين متأملين فى صنع الله.. وآيات الله.. وقدرة الله.. وعظمة الله آملين فى عون الله فمـما لا شك فيه أن الله سيهـدينا إلى سبله بسلطان منه هو وحده وبأمـره هو وحده إلى اكتـشاف الجـديد فى آفاق الكون والحياة والوجـود مما يعود على البشرية كلهـا بالخير والنفع يزدادنا وينيرنـا الإيمان به هو وحده فـيمن الله علينا ببـركات وخـير من السـماء والأرض هـو رزق الله.. وهبة الله.. ومنتـه تعـالى إلى عباده الصالحين.

وكما أن الإيمان هو نور الحياة...

فإن التأمل هو نبض الحياة...



دعوة للتأمل

لقد أودع الله سبحانه وتعالى مـن الأسرار الخفية فى القلب ما يكشف حقيقـة الإنسان والسبيل الذى يسلكه، فهو جـهاز شفاف نورانى زود الله به الإنسان ليميـز به بين الحق والباطل، ويفرق به بين الصواب والخطأ، ويوضح له طريق الهدى من طريق الضلال.

والقلب الإنسانى الذى يملأه حب الله ويسكنه نور الله ويشغله ذكر الله.. هذا القلب النـورانى يدعو الإنسان دائمـا إلى التأمل، ويقوده إلى التـفكر، ويعلمه التدبر، ويحـثه على التبـصر فى كل شىء من حوله صغـيرا كان أم كبـيرا مرشدا وموجـها له بضرورة الإخلاص وأهمية الصدق والصـفاء فى تأملاته فيمن الله على هذا القلب النورانى بفتـح أبواب له على طريق الفكر والتأمل فيـهديه إلى سبيل الله.

﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (العنكبوت: ٦٩)

فـالتأمل هـو نبض الحيـاة.. هو الحب.. هو الإيمـان.. هو المعرفة.. فـالحب يولد الرغبة فى المعرفـة.. فإذا عرفت تأملت، وإذا تأملت اقتربت، وإذا اقتـربت أحسست بنبض الحياة وقيـمتها

وحلاوتها فازددت إيمانا وقربا وحبا للخالق المبدع الذى أحسن صنع كل شىء رب العالمين رب العرش العظيم.

تأمل أيها الحاج فى عظمة خلق الله التى تشهدها، فى الجبال والأودية التى تراها فى رحلة الحج - انظر كيف أقامها الله رواسى شامخات وجعل فيها على الرغم من جمود شكلها الخير الكثير للإنسان من معادن وأحجار وخلافه.

تأمل أيها الحاج فى ملابس إحرامك البسيطة التى ابتعدت بها عن زخرف الحياة طاعة لله وحده - أليس فيها ما يذكرك ببدايتك - ولدت عاريا فكساك الله من خير، وعندما تموت لن تلف إلا بكفن يشبه هذه الملابس.. أليس فى تأملك لذلك عظة وعبرة.

ماذا تساوى حياتك دون طاعة الله وحب الله.. لن تأخذ معك فى قبرك شيئا سوى أعمالك هذه، وطاعتك هذه وكما قال رسول الله ﷺ:

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله

إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع

به أو ولد صالح يدعو له».



كيف تكون الصدقة إلا بطاعة الله، وكيف يكون العلم نافعا إلا أن يكون فى خدمة دين الله، وكيف يوجد الولد الصالح إلا إذا نشأ فى طاعة الله مع أبوين يطيعان الله.

تأمل أيها الحاج فى شهيقك وزفيرك الفرق بينهما لحظات قد يمن الله بها عليك فتبقى حيا أو يمنعها الله عنك فتصبح بين يديه الكريمتين.

فماذا قدمت لغدك عند الله ـ أموالك فيما أنفقتها؟

عمرك فيما أفنيته؟ صحتك فيما أبليتها؟

تأمل أيها الحاج فى عظمة الكون حولك.. فى دقة هذا الكون.. فى جماله.. الشمس والقمر والكواكب والنجوم كلها تسير فى نظام دقيق.. لو اختل بمقدار سنتيمتر واحد لاحترق كل شىء واختفت الأرض بمن عليها.

فمن الذى أحكم صنع هذا؟ تأمل أيها الحاج.. ... ...تأمل.. وتأمل.. وتأمل...

نعم لا تحصى.. وأشياء لا تعد.. ولو أردنا أن نحصى ما هو جدير بالتأمل الوجدانى والفكرى للمؤمن فلن يكفيه ملء الأرض من صفحات الكتب.



إلا أنهـا مجـرد دعـوة لك أيها الحـاج. . أن تتـأمل فى خلق الله. . متذكرا أن البشرية كلهـا تقدمت للأمام بالتأمل والتفكر فى أشيـاء خلقهـا الله. . وإن كان التـقدم التكنولوجى والعلـمى جاء نتيجة تفكير وتأمل من بشر بعضه مؤمن وبعضه غير مؤمن، فنحن المسلمـون أولى الناس بالتفكر والتـدبر وأولى الناس بأن نكون فى مقدمة العلماء والمفكرين.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: ٢٨)

ولنتأمل. . ولنقترب. . ولنخر ساجدا قائلا:

«سـبـحـانـك يـارب...

ربى لا أحـصى ثـنـاء عـلـيك

أنت سـبـحـانك كـمـا أثنيت على نـفسك

تعلم مـا فى نفسى ولا أعلم مـا فـى نفسك

إنـك أنت عـلام الغـيـوب

لا إله إلا أنـت وحـدك لا شـريـك لك

مـالك الملك وعلى كل شىء قـديـر

رب الـعـرش الـعـظـيـم».



الإحرام الأبدى

لا شك أن شعائر ومناسك الحج محـدودة ومعروفة لكل حاج وهى محببة إلى النفس لدرجة أن كل حـاج يحرص كل الحرص على أن يؤديها بكل الدقة والإخلاص وأن يؤديها على أكمل وجه ولا ينقـصـها شىء، ولا يشـوبهـا شىء طامـعا فـى مرضـاة الله ومغفرته ورحمته.

ورحلة الحج لا تسـتـغـرق بشـعـائرها ومناسكهـا سـوى أيام معدودات ليعود بعدها الحاج إلى أعـمال الدنيا.. وليواجه السؤال الكبير.

كيف نحافظ على معانى الحج وثوابه؟

يالها من جملة قد تبدو بسيطة ولكنها عميقة المعنى والأثر:

نعم يا إخـوانى الأعزاء.. ليس الحج فـقط شعـائر وعبـادات أديتها وانتـهيت منها. إذا كان هذا المقصود فـاعلم أيها الحاج أنك قد حججت فعلا إلى أرض الله وفى سبيل الله.

ولكن كيف تحج إلى الله بقية عمرك؟

كيف تعيش حياتك حاجا على الدوام؟



هذا السؤال الذى ينبغى أن تعد نفسك للإجابة عليه.

يجب علينا أن نتعلم كيف يمتد أثر الحج إلى البـقية الباقية من عمرنا.

لا نريد بشـرا انتـهت صلتهـم بمعانى الحج بمـجرد أن خلعـوا ملابس الإحرام.

بل نريد أناسا يعـيشون معـانى الحج وأخلاقه بقيـة عمرهم.. هذا هو الحج الصحيح.. وهذا هو الحج الأبدى الخالد.

إن الإجابة على ذلك هو أن يـخرج الإنسان من إحـرام المظهر إلى إحرام الجوهر.. كيف؟

أنت أيها الحـاج بمجرد أن لبست ملابس الإحـرام امتنعت عن الكثير من المظاهر الدنيوية السـائدة.. امتنعت عن لغو الحديث.. امـتنعت عن النـظرة المخـتلسـة.. امـتنعت عن الغـيـبـة.. عن النمـيمـة.. عن الحـقـد.. عن الحسـد.. عن كل آفـات القلب الدنيوى.

فاستـمر فى ذلك بعد خلعك ملابس الإحرام عش مـحرما فى سلوكك.. عش مـحرمـا فى أخـلاقيـاتك.. عش مـحرمـا فى لسـانك.. عش محـرما فى قلـبك.. ولا بأس عليك عندئذ أن



تكون قد خلعت ملابس الإحرام لأنك عندها تنتقل من إحرام المظهر الزائل إلى إحرام الجوهر الباقى.

هذا هو ما نريده من الحج، وهذا هو ما ينبغى أن ننشده من هذه الرحلة العظيمة.

ولكى نساعد أنفسنا على ذلك ينبغى علينا ما يلى:

١ ـ أن يستحضر الإنسان الله دائما فى قلبه حتى وهو مشغول بأعماله الدنيوية فيصبح كل عمل دنيوى مخلصا لله وتاما بعون الله.

٢ ـ أن يداوم العبد على شكر الله على عونه الدائم.. فلا حول ولا قوة إلا بالله.. ولا فضل إلا لله أولا وأخيرا.

٣ ـ أن يستشعر الإنسان دائما بأنه لا زال فى ملابس الإحرام.. فى معية الله.. فما لا ترضى أن تعمله وأنت بملابس الإحرام فى كنف الكعبة وبين يدى الله.. حتما لن ترضى أن تعمله وأنت أيضا تستشعر أنك لا زلت محرما ويراقبك الله.



ولما سئل الرسول مرة عن الإيمان فقال ﷺ:

«الإيمان أن نؤمن بالله وملائكته وكتبه

ورسله واليوم الآخر، وهو ما وقر فى القلب

وصدقة العمل».

وعن الإحسان قال عليه الصلاة والسلام:

«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(١).

والإخلاص سر من أسرار الله استودعه الله قلب من أحبه من عباده.

لقد ذهبت أيها الحاج.. حاجا إلى الله مخلصا فى ذلك فلتعد كذلك.. فى حياتك مخلصا لله.

بعد الحج.. ستعود إلى منزلك.. فلتتق الله فى أهلك.. ولتتق الله فى زوجتك وأولادك، لا تطعمهم من حرام، ولا تلبسهم حراما، ولا تعلمهم إلا مكارم الأخلاق وأفضلها.. علمهم كتاب الله.. حببهم فى الإيمان بالله.. علمهم حب الله

---

(١) رواه البخارى.

ودوام ذكره.. علمهم أن المودة والرحمة والألفة والمحبة هى كلها وسائل إلى الله ومن الله.. علمهم كيف يشكرون نعمته بالصلاة والزكاة وصلة الرحم، وعلمهم أن الإنسان مهما طال عمره فهو إلى الله.

بعد الحج.. ستعود إلى عملك.. فتذكر قول رسول الله ﷺ.

«إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه».

اتق الله فى عملك وأتقنه مهما صغر شأنه لأن العمل ليس بحجمه ولكن بإتقانه.. العمل الكبير هو كذلك بمدى إتقانك له ودون ذلك يصبح عدم.. يصبح عديم الفائدة.

عملك أمانة فلتؤدها على أكمل وجه كما أديت فريضة الحج.. وتذكر أن كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته.. فى بيتك راع، وفى عملك راع ومسئول أمام الله عن رعيتك وتذكر أن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا.

بعد الحج.. ستعود إلى جيرانك، فتذكر حق الجار عليك من مودة وألفة وحسن الجوار.

بعد الحج.. ستعود للسير فى شوارع المدينة فتذكر حق الطريق.. وآدابه وتذكر أن من الإيمان إماطة الأذى عن الطريق.



بعـد الحج. . ستـعود إلى والديك فـتذكـر قول الله سـبحـانه وتعالى:

﴿ فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ (الإسراء: ٢٣)

﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ (الإسراء: ٢٤)

واتق الله فيهما كما اتقوه فيك.

بعد الحج. . سـتعود إلى مـخالطة الناس من أصدقـاء وزملاء ومعارف. . فليكن عنوانك بينهم مكارم الأخلاق وأفضلها ولتتذكر قول رسول الله ﷺ:

«المؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على
أذاهم أفضل من المؤمن الذى لا يخالط
الناس، ولا يصبر على أذاهم»(١)

تحلى بالصـبر والـعفـو عند المقدرة وأحـسن يحـسن الله إليك ولتكن كما وصف الله المؤمنين فى كتابه الحكيم.

---

(١) ذكره أحمـد فى مسنده، والبخارى فى الأدب، والترمـذى لابن ماجة، والسيوطى فى الجامع الصغير.



لن تكفينا صحف الأرض لكى نعد ما يمكن أن نكون عليه بعد الحج ولكننا نلخص ذلك بالقول. . فلنكن محرمين.

ولقد ذهبت وأنت حريص كل الحرص على أن تكون محسنا فى كل ما تفعل. . فلتعد بعد الحج كذلك بقية حياتك محسنا. . خلوقا. . تعبد الله كأنك تراه.

هذا هو الحج الحقيقى. . سلوكا وخلقا ومعنى.

وهذا هو الحج الأبدى الخالد.

فهل تحب أن يكون حجك كذلك؟

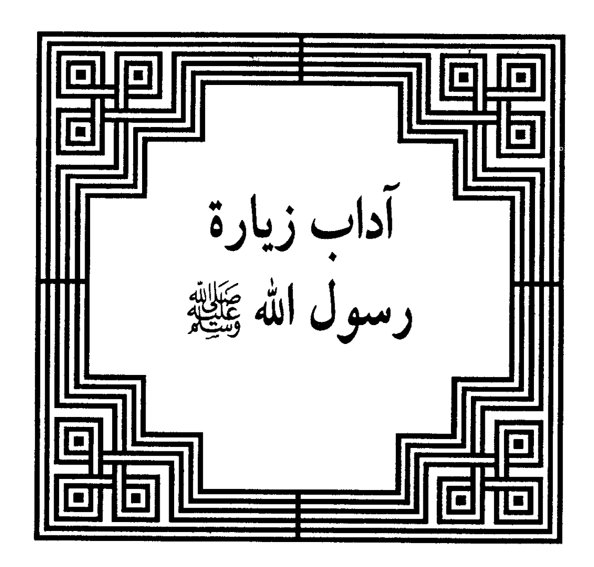
الإجابة بك ومنك وإليك.







الفصل السابع



من يحب الله عز وجل يحب رسول الله ﷺ، ولا تقبل النفس المحبة لرسول الله ﷺ أن تذهب إلى الحج دون أن تزور رسول الله ﷺ فى المدينة. . فالمؤمنون يحبون رسول الله عليه الصلاة والسلام.

ويقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران: ٣١)

ولا يصدق إيمان المسلم حتى يكون رسول الله ﷺ أحب إليه من نفسه. . وهذه الزيارة وإن لم تكن ركنا من أركان الحج. . إلا أنها مسألة نفسية قلبية.

إذن فزيارة رسول الله ﷺ فى المدينة ليست منسكا من مناسك الحج. . ولكنها أدب من آداب الإسلام.

وشاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يقيم رسوله ﷺ بالمدينة كما اختار سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ أن يموت فى المدينة تعظيما لشأنه ورفعا لمقامه. . وحتى لا تكون زيارته تبعا لزيارة بيت الله الحرام، وإنما تكون زيارته مستقلة وخاصة به ونابعة من عشقه وحبه.

وفى المدينة التاريخ الحى للإسلام حيث نستشعر عظمة الإسلام فنزور مكان موقعه بدر: الموقعة التى فرق الله فيها بين الحق والباطل ونصر الحق على أئمة الكفر.

إن مكان هذه الموقعة يذكرنا بحدث هام فى تاريخ الإسلام.. هو أول انتصار للإيمان على الكفر.. وللحرية على العبودية.. ولدين الله على عبادة الأصنام.. إن هذه الأرض شرفت برسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.. وشرفت بدماء شهداء المسلمين.

وننتقل من بدر إلى أحد.. تلك المعركة التى وقعت عند جبل أحد، والتى خالف فيها الرماة أمر رسول الله ﷺ بألا يغادروا أماكنهم فوق الجبل.. فخالفوه ونزلوا يريدون الغنائم فكانت الهزيمة .. فلم يكن الله لينصرهم وقد خالفوا أمر رسوله ﷺ،

قال الله تعالى:

﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (آل عمران: ١٥٣)



وهناك نجد قبر حمزة سيد الشهداء الذى وقف عليه رسول الله ﷺ وقرأ الآية الكريمة:

﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ (الأحزاب: ٢٣)

هذا هو التاريخ الحى للإسلام.. موجود فى المدينة.. تاريخ شاهد على كل واقعة حدثت حتى المسجد ذو القبلتين الذى كان يصلى فيه المسلمون متجهين إلى بيت المقدس وعندما نزل الأمر بتحويل القبلة اتجهوا إلى المسجد الحرام.. كل هذا موجود فى المدينة.. ذلك أمر الله سبحانه وتعالى أبقى هذا التاريخ ليكون شاهدا لكل الأجيال على دين الإسلام.. والإسلام هو الدين الوحيد الذى حفظت كل أحداثه بدقة ليشهدها من يريد.

وعلينا أن نتأمل فى هذه الأحداث التاريخية لنخرج بالدروس والعبر.. فإنها نعم الزاد فى الحياة الدنيا وفى الآخرة.

وفى المدينة سر ربانى لا يستطيع أحد أن يفهمه أو يتعمق فيه.. إنه شعور له مذاق غريب حيث يحبها كل من يزورها.. إنها خفيفة محببة إلى النفس بالرغم من المشقة التى يعانيها الإنسان



كى يصل إليهـا ولكنها مشـقة على هوى الإنســان. . وتنتهى هذه المشقة والتعب فى المدينة وهذا من أسرارها.

فى الكعبة يشعر الإنسان بالرهبة والخشوع، وفى كل منسك من مناسك الحج أو العمرة يشهد عظمـة الخالق ووحدانيته وقدرته حيث تتجلى أعظم آيات الحب الإلهى ويحس العبد بقمة العبودية لله وحده لا شريك له.

وفى المدينة يشعـر العبد بحب رسـول الله ﷺ ومكانته عند الله، ويتـأمل كيف عـانى رسول الله ﷺ وجـاهد فى سبـيل الله وأحبه، فـيصبح قدوة وأسوة حـسنة لنا نقتدى بها فنتـأمل جهاده وحبه لله سبحانه وتعالى ومعاملاته الذى هو خُلق القرآن الكريم.

وهدف كل زائر إلى المدينة المنورة أن يحظى بشـرف الصلاة فى مسجد رسول الله ﷺ ثم يقوم بزيارته عليه الصلاة والسلام.

ولمسجـد رسول الله ﷺ أو الحـرم المدنى حدوده، كـما أن للحرم المكى حدوده. . فلا ترتكب المخـالفات، ولا يصاد الطير، ولا يهيج صيد ليخرج خارج الحرم لاصطياده، ولا تقطع شجرة.

وتحية المسجد الحـرام فى مكة المكرمة هى الطواف بالكعبة،



أما فى المسجد النبوى الشريف فهى الصلاة ركعتين تحية المسجد، ثم تبدأ الزيارة الشريفة المباركة لرسول الله ﷺ. . زيارة لابد أن يملأها الأدب والخشوع. . نستحضر فيها عظمة رسول الله ﷺ ومكانته عند ربه.

إن المطلوب فى هذا المكان أن يكون الصوت خافتا خاشعا لا يعلو، وأن يكون سلوك العبد متأدبا هادئا بلا زحام أو دفع، أو شجار أو احتكاك. . لابد أن نعرف أننا فى فى حضرة رسول الله ﷺ. . أكرم خلق لله، وأقربهم إلى الله وحينما نحييه فهذا شرف كبير لنا ونشهد له شهادة حق فى أنه أدى الرسالة، وبلغ الأمانة، ونصح الأمة ثم ندعو الله بما نشاء أو بما يفيض به الله علينا.

وليس معنى وقوفنا أمام رسول الله ﷺ أن نلقى خطبة. . فهذا موقف جليل يعجز فيه أبلغ الناس، ويشعر الإنسان فيه بأن أساليبه المحدودة لا تقوى على التعبير عما فى نفسه حبا لله ولرسول الله ومهما قال الإنسان من كلمات فلن يستطيع أن يفى رسول الله ﷺ حقه.

لا يملك الإنسان فى مثل هذه المواقف الجليلة. . العظيمة إلا أن يخشع ويتوجه إلى الله بقلبه سائلا إياه أن يجعله فى طريقه

ورضـــاه. . وأن يضع على لســانه ما يرضـــى ربه ورسوله. . ومــا يقربه إليهما.

ويكثر العـبد المحب لله من الجلوس فى مسجـد رسول الله ﷺ والانشغال بالعـبادة وحدها حيث يصلى وعند انتـهاء الصلاة يقرأ القرآن الكـريم. . فإن لتلاوة القرآن فى حضـرة من نزل عليه القرآن خشوع وهيبة وجـلال لا يشعر به إلا من جلس يقرأ القرآن فى مسجد رسول الله ﷺ ثم يسـبح، ويكثر من ذكر الله، وحمد الله، وتقديس الله، وتكبـير الله، واستغـفار الله، ثم يصلى على رسول الله ﷺ ثم يدعو بما يشاء له ولمن يحب.

ويحرص العبد على الإكثار من جلوسه فى الروضة الشريفة حيث قال رسول الله ﷺ عنها:

«ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة»

إن للصلاة وتلاوة القرآن الكريم فى الروضـة الشريفة ثواب وفضل كبير مما يشد اهتمام وحرص العبد على ألا يفوته أن يجلس فى الروضة الشريفة، وأن يكثـر من صلاته وقراءته للقرآن الكريم وتسبيـحه وذكره لله عز وجل على قـدر ما يستطيع وما يتـيسر له



داعيا ربه أن يـجعله مغفور الذنـب.. متقبل التوبـة.. وأن يعمر قلبه بالإيمان وحب الله جل جلاله وحب رسول الله ﷺ.

إن لأداء العبـادة فى مسجـد رسول الله ﷺ جمـال ومذاق خاص لا يشعر به إلا من كان مخلصـا ومحبا لله ولرسوله.. إنها تملأ القلب والروح والوجدان والفؤاد بنفحات إيمانية قد لا نفهمها ولكن نحسـها ونعيش فيـها ولا نملك التعـبير عنها إلا أن نسـجد حمدا وشكرا لله عز وجل.







الخاتمة



لكل شىء فى الحيـاة أهمية، ولكل عمل يؤديه الإنســان فائدة واستفادة يتأثر بها وتؤثر فى جوانب حياته تأثيراً فعالا حيث يدرك أن كل لحظة فى حياته تشهد تغيراً مؤثراً يعود على حياته بالارتقاء فى طريق الله.

وعطاء الله .. فياض ممدود لاينتهى ولايقف عند حد ..

ولقد جعل سبحـانه عطاءه يختلف من شخص إلى آخر، ومن شىء إلى آخـر بما يسمح به الله ويأذن حـتى يأخذ كل إنســان من عطاء الله كل على قدر درجـة إيمانه بالله، وحبه لله، وإخـلاصه فى طريق الله.

وإذا سمحنا لأنفسنا أن تتحدث عن الله، وتركنا لأقلامنا العنان لتسطر عطاء الله، وفتحنا لقلوبنا الطريق لتنبض بحب الله وتلمس حنان الله فستشـعر بالرهبة والخشوع والنور يملأ وجـداننا والصفاء يحيط بنا ونصل فى النهاية إلى العجز .. العجز عن الحديث عن الله .. والعجز عن وصـف عطاء الله .. العجز عن التعـبير عن فيض الله وعظمة آيات الحب الربـانى وروعة لمسات الحنان الإلهى مما يقودنا إلى الإيمـان بالله والسجود لله الواحـد القهار حـامدين



شاكرين الله مـؤمنين عارفين ذاكرين فـضل الله علينا ولولا فضل الله علينا ورحمته لكنا من الخاسرين.

يسـجد القلب الإنـسانى لله الواحـد الرحـمن، ويلهث ويعلو صوت دقاته التى تنبض بسرعة شـديدة متسابقًا مع الزمن فى حب الله محـاولا أن يسبق القلم ويقـفز فوق السطـور، وكأنه يريد أن يحفر بداخله ويحـفظ الكلمات التى تهبط عليه خائفًا مـن فقدانها متمنيًـا أن يسجل ويثبت المشاعـر والأحساسيس التى يتـفاعل بها ويهتز لها ويذوب معها سابحًا فى إشراقات النور التى هى هبة من عند الله . . وفيضًا من فيوضات عطائه .

والحج هو إحـدى العـبادات التـى تتمـيـز بعطاء يخـتلف من شخص إلى آخـر . وفيه تتـجلى الفيوضـات الربانية. وبه يتغـير العبد المؤمن سلوكـًا وخلقًا فيمنحه الله عز وجل البـركة فى حياته هبة ومنحة منه سبحانه.

وللحج خصوصية . . فهو تجـمع عقدى فذ ومؤتمر عالمى فريد دعا إليه رب واحد، وحدد دوراته فى زمـان واحد، ورسم منهجه بكتاب واحد على رسول واحد، واستجاب له المؤمنون بزى واحد وقصد واحد، وفى جلال هذه الوحدة انصهرت الأجناس والألوان



واللغات، وذابت العصبيات والبيئات والطبقات، فلا نسب إلا إلى الإسلام ولا حسب إلا فى الإيمان.

وتلك خصوصية يجب أن تستغل تعارفًا يربط الشعوب بالمودة وتآلفًا بين الأجناس وتراحمًا، وحتى يقف كل مسلم على وضع إخوانه فى كل بلد وعلى خط دينه فى كل إقليم وحينئذ تتعاون الطاقات وتتكامل الإمكانات، يصبح المسلمون كما قال الرسول ﷺ كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

وهناك معنى ذو قيمة يجب أن يستوعبه الحاج فى رحلته إلى الأراضى المقدسة وهو:

أن الحج رحلة واحدة فى الحياة الإيمانية يكفى المسلم أن يقوم بها فى العمر مرة واحدة ليترك نعمة المنعم نفسه وقد تساوى مع غيره من عباد الله الذين جاءوا لتلبية نداء الحق:

﴿لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ (آل عمران: ٩٧)

فلا يعرف أحد غيره بمقادير وألقاب، فلقد أصبح الخفير بجوار الوزير، الغنى مع الفقير. فقد صار الكل سواء فى بيت الحق ولافرق بين أحد وآخر إلا من اتقى وعمل عملا صالحًا.

فالتقوى هى الميزان. وهى ما يميز عبداً عن آخر بصرف النظر عن لقبه أو مركزه أو حسبه أو نسبه.



وللحج فوائد نفسية عظيمة الشأن ودروس مستفادة إذا استفاد منها الإنسان حق الاستفادة فإنه يؤثر على حياته وسلوكه وأخلاقه وطريقه فى هذه الدنيا فينال ثواب الله فى الحياة الدنيا والآخرة . . يستطيع أن يحقق لنفسه ولمن حوله الحياة الكريمة الآمنة المطمئنة، ويصل إلى سر السعادة الكاملة وينعم بالأمن النفسى والسكينة، ويرفرف السلام الروحى بأجنحته على قلبه وفؤاده فيهرب الضياع والقلق من حياته ويمن الله عليه بالبركة فى كل شىء فى حياته فيشعر بالرضا يملأه، والقناعة تحتويه، والسلامة تسكنه.

ولكن ماهى هذه الدروس التى يتعلمها ويستفيدها الإنسان من رحلة الحج، وماهى الفوائد التى تجلب له كل هذا الخير، وهذه المنافع الجميلة؟

إن زيارة المسلم لبيت الله الحرام فى مكة المكرمة، ولمسجد رسول الله عليه الصلاة والسلام فى المدينة المنورة، ولمنازل الوحى، وأماكن البطولات الإسلامية تمد المسلم بطاقة روحية تزيل عنه كرب الحياة وهمومها، وتغمره بشعور عظيم من الأمن والطمأنينة والسعادة.

ويدرب الحج الإنسان على تحمل المشاق والتعب، وعلى



التواضع، حيث يتساوى جميع الناس الغنى فيهم والفقير، والسيد والمسود والحاكم والمحكوم، وهو يقوى روابط الأخوة فى جميع المسلمين من مختلف الأجناس والأمم والطبقات الاجتماعية حيث يجتمعون جميعًا فى مكان واحد وزمان واحد يعبدون الله ويبتهلون إليه ويتضرعون.

وفى الحج تدريب للإنسان على ضبط النفس والتحكم فى شهواتها واندفاعاتها إذ يتنزه الحاج عن الجدل والخصام والشحناء والسباب عن المعاصى وكل ماينهى الله عنه، وفى ذلك تدريب للإنسان على ضبط النفس وعلى السلوك المهذب، وعلى معاملة الناس بالحسنى وعلى فعل الخير.

قال الله تعالى:

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الأَلْبَابِ ﴾

(البقرة: ١٩٧)

فالحج على هذا الأساس هو جهاد للنفس يجتهد فيه الإنسان

حيث يهذب نفسه، ويقاوم أهواءه واندفاعاته، ويدرب نفسه على تحمل المشاق وعلى فعل الخير وحب الناس.

إن الحج فرصة عظيمة للنفس اللاهية، والقلب الغافل، وللإنسان لكى يغير من مألوفات العادات والطباع الرذيلة والمستقبحة ويغسل نفسه من أوحال الرفث والفسوق والعصيان والجدال.

كما أنه باب مفتوح للنفس لكى تعيد حساباتها، وترجع عن غيها، ليعتدل أمرها، وتهجر فسوقها، وعنادها لتدخل فى طاعة الله.

وفى عمل الحاج بأمر الله تنزيه لشعائره ومناسكه تعالى فضلا عن أن طاعة الله تساعد الإنسان على الابتعاد تمامًا عن الآثام والخطايا فى هذه الفترة الزمنية، الأمر الذى يكسبه عادات جديدة وأخلاقًا طيبة، وفريضة الحج تلعب دورًا عظيمًا فى التوازن والاعتدال والقسط والقصد والقوامة.

كما أن الحج يفرغ المسلم من الهموم؛ إذ يقف أمام الله مجردًا من حظوظ نفسه فيسكن قلبه، ويطمئن بذكر الله، كما تفرغ النفس من الهوى عندما تنصرف بالكلية إلى الله وتلتفت عن ما دونه.



كذلك تطالب النفس فى الحج بالبذل والإيثار والإنفاق وتنزيه الله بإخلاص النية، وهذا من أفضل ثمرات الحج على النفس.

ويتعلم الإنسان من الحج الصبر والشكر حيث يصبر الإنسان على أذى الآخرين، فمن الممكن أن يتعرض أثناء الحج إلى الأذى من الغير سواء بالقول أو بالفعل ومن شدة الزحام يتعرض إلى الدفع أو الضرب بالأيدى، ولكى يحصل على مرضاة الله وحتى لايفسد حجه، عليه ألا يعترض أو يتأفف وأن يصبر على ذلك صبراً جميلا حبًا لله، والصبر على الأذى درجة من درجات الإحسان.

وفى الصبر فائدة عظيمة فى تربية النفس وتقوية الشخصية وزيادة قدرة الإنسان على تحمل المشاق.

فالصبر هو القوة الدافعة والشحنة الواقية لنا فى السلوك الإنسانى فهو يدفعنا إلى العمل الصالح والخير الفاضل ويقينا من الوقوع فى حبائل الشيطان فنقع فى الإثم والخطأ والعدوان فنضل ونشقى .. إن الصبر هو المعرفة الحقة والمسلك الواقعى الذى إذا اتخذه الإنسان فى حياته شعر بقوة كبرى تسرى فى كيانه كله يستمدها من الله عز وجل وتمنحه الإحساس بأنه فى طريق الصبر



حبًا فى الله . . وطاعة له تعالى وطمعًا فى رحمته وثوابه حيث قال الله عز وجل فى كتابه الكريم:

﴿وَبَشِّرِ الصَّـٰبِرِينَ﴾ فيهنأ بالرضا والأمان والاستقرار النفسى وينعم بالسكينة والطمأنينة القلبية فيشعر بالسعادة النفسية والروحية.

ففى الحج جهاد يسعى إليه الإنسان تقربًا إلى الله ولمرضاة الله، ومن صفات الجهاز الصبر والهدوء والحكمة والثبات وقدرة التحكم فى الانفعال وكلها مواصفات تتطلب سلوكيات خاصة وأخلاقيات عالية . . وهذا هو ما يتطلبه الحج ومن أخلاقياته وسماته.

وكما يدرب الحج الإنسان على الصبر يدربه أيضا على الشكر، والصبر برضا يكون مقرونًا دائمًا بحمد وشكر الله عز وجل فى السراء والضراء.

ويربط الله سبحانه وتعالى الشكر بالصبر فى قوله:

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (إبراهيم: ٥)

والشكر سلوك عظيم ينطوى على إيمان كامل بالله ووحدانيته وقدرته وكماله، وتصديق كامل بنعمة الله وإحسانه المطلق على عبده المؤمن.



فالشكر إذن هو ثمـرة من ثمرات التقوى والإيمـان وسبيل من سبل القرب إلى الله.

ومن أكبر وأجمل لمسات الحنان الإلهى على العبد المؤمن توفيق الله وهدايته سـبحانه له كى يشكره ويحـمده على نعمـه وفضله. وبالرغم من شكر هذا العبد الدائم لله على فـضله وإحسانه إلا أنه يشعـر ويحس بالعجز عن شكر الله، وأن كل مايؤديه مـن أقسام الشكر لله غير كاف وعاجز عن التعـبير عن شكره الحقيقى الكامن فى فؤاده .. فى كـيانه كله .. ولقد قيل إن داوود عليـه السلام قال:

«إلهى كيف أشكرك وشكرى لك نعمة من عندك»

فأوحى الله إليه: الآن قد شكرتنى.

فإن الـعجز عـن الشكر سلوك طبيـعى يحس به العبـد المؤمن الشكور لله لأنه يشعر بأن كل شىء يسلكه فى الحياة شكراً لله أقل بكثير من حقيقة الشكر التى يجب أن يقدمها ويؤديها لله عزوجل.

وفى الحقـيقة أن حـمد الله وشكره من الصفـات التى يحرص العبد المؤمن أن يطبع نـفسه بها إيمانًا منه بأن الإنسـان الذى يسير فى طريق الله ويتمتع وينعم الله عليه ويشهد بآثار نعمة الله فى كل



لحظة، ويشـعر بلمـسات الحنـان الإلهى عليه فى كل جـانب من جوانب حـياته فـإنه ولابد أن يشكر الله سبـحانه وتعـالى فى كل لحظة.

ولم يكتف هذا العبد المؤمن بشكر الله فى السراء ولكن يشكره أيضا فى الضراء ويرى أن الله تلطف معه ويشعر بلمسات تلطفه له فيـحمـده على هذا التلطف الإلهى وحفظه له مـن هلاك كان من الممكن أن يودى بحيـاته لولا تلطف الله به ورحمته عليـه ولمسات حنانه له.

ويعـرف العبـد المحب لله بأن شكر الله لايكون فـقط باللسـان والقلب والجوارح وإنما بسلوكه وعمـله، فإن فضل الله عليه عظيم وأقل شىء ممكن أن يقـدمه شكراً لله هو مـحافظتـه على عبـادته وحرصـه على حمد الله وشكره فى كل لحـظة ثم سلوكه إلى الله الذى يعـتبـر نوعًا من أنواع الشكر لله فـيجب أن يرتقى بسلـوكه ويرتفع فوق الأحـداث ويتعـامل مع جميـع الأمور بما يُرضى الله آملا فى حبه، طامعًا فى رحمته، ناشداً رضاه.

ويوجه الله سبحانه وتعـالى العبد ذا القلب المحب لله الشاكر



له على الدوام إلى طريقـه ويهديه إلى سبـيله ويجد هذا العـبد دون أن يدرى أن الله فتح له أبوابا فى سبيله ليـسلكها ويسير فى هداها حتـى يفوز بثواب الله له ويحـمد الله كـثيرا علـى فضله ونعمته الكبرى.

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ (العنكبوت: ٦٩)

وفى الحج تتـجلى آيات الشكر وحمـد الله سبـحانه وتعـالى حيث يكثـر الحاج من حمـد الله عز وجل على نعمـه وفضله. ومن أكبـر النعم التى يحرص الحـاج فيـها على شكر الله نعـمة الحج حـيث أعـانه الله وفتح لـه باب الدعوة إلى الحـج ووفقـه وأعانه على الحج.

وعندما يصل الحاج إلى درجة الصبر على الأذى وشكر الله فى السـراء والضراء يتـسم بالهدوء ويشـعر بالود مع كل شىء ويـبدأ يسعى إلى محـاولة التحلى بالأخلاق القرآنية والآداب الإسـلامية ويجب أن يكون المسـلم قـدوة فى سلوكه مـادام مقـرونًا بدين الإسلام.

ويتـعلم الإنسان مـن رحلة الحج الصدق وتشـعـر أيها الحـاج بالراحة والطمـأنينة عندما يكون سلوكك قولا وفعـلا هو الصدق



لأنك لا تعبأ بأى شىء . . ولاتهتم ولا تخاف ولاتخشى إلا الله سبحانه وتعالى.

والصدق هو الإخبار عن الشىء بما هو عليه، وإظهاره على حقيقته وهو من الأخلاق الحميدة التى يجب أن يتحلى بها الإنسان حتى يكتب عند الله صادقًا، صديقًا ويفوز بالقرب منه سبحانه وتعالى فالعباد المقربون هم العباد الصادقون.

والصدق على الحقيقة هو الفضيلة الأساسية للحياة الإنسانية، ولقد كان خلق الرسول ﷺ الصدق وكان الصحابة يؤثرون الصدق مهما كان وراءه من الألم والصعاب لأن الكذب لايدعم الإنسان ولاينشئ الأخلاق، ولايقيم الأمم ولا المجتمعات.

والصادق من صدق فى أقواله، والصديق من صدق فى جميع أقواله وأفعاله وأحواله . . ومن أراد أن يكون الله تعالى معه فليلزم الصدق.

قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (التوبة: ١١٩)

ويرتبط الصدق دائمًا بالإخلاص والصبر ارتباطًا قويًا، وإذا صدق الإنسان فى النية والقول والعمل فهو بالتالى سيتمتع



بالإخلاص فى النية والقول والعمل. والإخلاص والصدق يقودان بلاشك إلى الصبر لأن من صدق أخلص، ومن صدق وأخلص أصبح الصبر صفة ملازمة له حيث إن الصبر يستلزم أن يكون الإنسان صادقًا مخلصًا.

وفى الحج ينعم الإنسان بالرضا حيث يرضى بكل شىء يأتيه أو يعتريه .. ويصاحب الرضا دائمًا الشعور بالسكينة ويحتوى السلام نفس الإنسان ويغلب علىٰ جوانحه ويتعجب لماذا كان ينفعل ويثور .. لماذا كان يغضب ويترك لانفعالاته الجامحة العنان مما يجعله يؤذى غيره .. لماذا كان يعترض .. ويتأفف .. لماذا لم يشعر بالألم نحو إخوانه الذين كانوا فى حاجة إليه .. كيف سولت له نفسه أن يغضب الله ويظلم غيره.

لماذا دائمًا كان فى حالة عدم الرضا عن أى شىء.

هنا فى الحج، وفى عرفة، وعند طواف بيت الله الحرام، وفى مسجد رسول الله ﷺ يعرف الحاج معنى الرضا وقيمته وحلاوته والرضا لمن يرضى.

ومن الدروس المستفادة الجميلة فى رحلة الحج التى يتعلمها الإنسان وتوثر على جميع جوانب حياته إسقاط التدابير لله ..نعم



فلا تدبر لشىء وتسلم نفسك وأمرك لله وحده .. وترضى بكل مايأتيك من عند الله برضى وحب وقبول، وتصبر على ابتلائه .. وتحمد نعمه فهو سبحانه مالك الأمر وبيده الأمر كله وإليه يرجع كل شىء فأمرك كله منه وإليه.

وكلمة حق تقال إن إسقاط التدابير لله .. سلوك عظيم وصعب ولايقدر عليه إلا المحبون لله .. وأنت فى الحج تهيأت نفسيًا وقلبيًا وروحيًا لأن تسعى فى طريق الله فلتحظى بأن تكون ممن يسقطون التدابير لله فتنعم بالرضا والأمان.

ولو أعددنا الدروس المستفادة من الحج فلن تكفينا السطور ولا الصفحات ولكن نستطيع أن نحصرها فى كلمة واحدة هى طريق إلى الخلق القرآنى.

والجدير بالذكر أن كل منا يستفيد من رحلة الحج بأشياء ودروس توثر على حياته يختلف عن الآخر كل حسب درجة إيمانه وحبه وإخلاصه لله عز وجل.

وإنى على يقين بأن حب الله هو جوهر الأشياء وكلما ازددت حبًا لله .. ازددت إخلاصًا له باحثًا عن الطريق إليه .. ساعيًا إلى رضاه.



فكن مع الله عـز وجل تكن غنيًـا عزيزاً. ومـن استـغنى بالله عزوجل احتاج إليه كل شيء. وهذا شيء لايأتى بالتحلى والتمنى ولكن بشيء وقر فى القلب، وصدقه العمل.

والإخلاص هو أساس سلوك العبد المؤمن المحب لله، وهو سر من أسرار الله أودعه قلب من أحبه من عباده.

قال تعالى:

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (البينة: ٥)

والحج المبـرور يصاحبـه دائمًا الإخـلاص هبة ومنحـة من الله سبحانه وتعالى.

والإخـلاص من الدروس العظيـمـة المستـفـادة فى الحج التى يتعلمها الإنسان ويتخذها مسلكًا فى حياته.

والإخلاص صـفة لازمـة فى كل عمل يؤديه الحـاج فى رحلة الحج، ويصبح ضرورة فى رحلة عمره البـاقية لايستطيع الاستغناء عنها بعـد أن تذوق حلاوتها وقيـمتهـا عند الله وهى هبة من الله فحـافظ عليها ولاتضـيعها بـالأنانية والطمع ومتـاع الدنيا والظلم والإساءة للغير.

ويستفيد الحـاج من مناسك الحج بوجوب الثقة بالله، وأن على



الإنسان أن يسعى قدر جهده وأن يخلص فى سعيه ويعرف بأنه فى الوقت الذى تتذكر فيه الأسباب تذكر أيضًا المسبب فالجوارح تعمل والقلوب تتوكل.

ومن الدروس المستفادة فى الحج ولها أثر كبير على الإنسان والآخرين «التعاون»، ففى الحج نعرف معنى التعاون وقيمته حيث يتحد الجميع فى مساعدة أى حاج يحتاج إلى العون سواء كان مريضًا أو مسنًا أو أى امرأة أو أى حاج يحتاج إلى الإرشاد والعون فى أى شىء.

وفى التعاون تتجلى أمامنا قيمة الحب والمودة والسلام والبعد عن الكراهية والحقد والغيرة والإخاء. وللتعاون أهمية كبرى فى نشر الوحدة بين الأجناس والأمم والطبقات مما يخلق جوا من الألفة بين الناس.

قال الله تعالى:

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة: ٢)

ويدرب الحج الإنسان على العفو والصفح الجميل فأنت فى الحج تتجاوز عن أخطاء البشر، وترتفع بالعفو إلى درجة من درجات الإحسان.



ويعتبر الصفح - العفو من أقرب الطرق والسلوكيات التى يسلكها الإنسان فى طريقه إلى الله.

كما يدرب الحج الإنسان على كظم الغيظ والصبر على الأذى حيث يتعرض فى رحلة الحج من شدة الزحام إلى أفعال كان من الممكن أن ينفعل فيها ويعترض ويتأفف ولكنه حبًا لله ومرضاة له وحده يتعلم كيف يكظم غيظه ويصبر على من أذاه.

ويقول الرسول ﷺ:

«من كظم غيظه وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا»[1].

ونستفيد من الحج ألا نقول إلا الطيب ولانعمل إلا الصالح الذى يرضى الله، فالصفح والعفو والكلمة الطيبة أبواب الحب والرحمة والنورانية والشفافية والصفاء.

قال الله تعالى:

﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (النور: ٢٢)

---

(١) ذكره أحمد فى مسنده، والبخارى، ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن ماجة، والسيوطى فى الجامع الصغير.



ومن أجمل الفضائل التى يتعلمها الحاج فى رحلة الحج الإحسان وهو فضيلة كبرى وسلوك إنسانى عظيم يسلكه العبد المؤمن فى طريقه إلى الله، يتأكد به معنى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأنه من نقاء النفس وإخلاصها فى العمل والعبادة، وفى ذلك يقول الله تعالى:

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ (الإسراء: ٧)

والإحسان فى الظاهر يبدو فى الأعمال والأفعال، فإذا أتقن الإنسان عمله، وماكلف به بأمانة من حقوق وواجبات، وإذا قام بأفعال البر، وأحسن إلى الغير، أو عمل عملا خيراً، فإنه ينسب إليه هذا الفعل ويلقى من الله أفضل الجزاء لأنه إحسان وهذا يتأكد من الآية الكريمة.

﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾ (الرحمن: ٦٠)

والإحسان إيثار وتضحية، وعطاء وبذل للغير عن رضا، لأن المحسن لايطالب بثواب يستحقه فى الدنيا، وإنما يتركه اختياراً لله تعالى الذى عنده الجزاء الأوفى على إحسانه.

وبالإحسان يشعر المؤمن شعوراً ملازمًا، إن الذى يعطى هو الله تعالى وحده، وأن المال والصحة والجاه وكل مافى الدنيا إنما هو منه وإليه فلا يحس المؤمن فى الإحسان بذاته إلا كوسيلة استخارها الله تعالى لفعل الخير وعمل المعروف.

والنفس المتسامحة هى النفس القادرة على توقيع الجزاء والقصاص العادل لكنها تنشد الخير فهى نفس محسنة.

وفى الحج يتنافس الحجاج على أعمال البر والإحسان ويكثر الإحسان فى موسم الحج وليس الإحسان فقط بالمال وذبح الذبائح، ولكن الكلمة الطيبة إحسان، والعمل الصالح إحسان، والتعاون إحسان، ومساعدة المريض إحسان، ونصرة المظلوم إحسان، وعون الضعيف إحسان، وخدمة المسن إحسان، والعفو عن الناس إحسان، والتصدق إحسان، والمجاهدة إحسان، والعطاء إحسان.

لابد أن تؤثر فيك رحلة الحج وتعود منها صافيا.. نقيًا.. طاهرًا حاملا مسئولية كبرى هى مسئولية حب الله والسعى فى طريقه، وتبدأ فى تطبيق ما استفدته من هذه الرحلة على نفسك أولا ثم تدعو به غيرك، وهكذا تصبح نموذجا للإنسان المؤمن الصالح الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

وأعرف أن الشيطان لن يتركك وسيفعل قصارى جهده معك ليغريك بمتاع الدنيا وشهواتها، ويزين لك المعصية ويبعدك عن طريق الله.



وإنها فرصتك للتغلب عليه ولتنتصر على نفسك الأمارة بالسوء متسلحًا بحب الله وذكر الله وماتعلمته من رحلة عبادة العمر فترتقى إلى مقام النفس المطمئنة التى يرضى عنها الله والمجاهدة فى سبيل الله.

وفى رحلة الحج تكثر لحظات الصفاء حيث يصفو الإنسان ويرتقى بقلبه وينشغل بالله وينعم بحب الله وطريق الله فيصل إلى كل مايتطلبه طريق الصعود والارتقاء من التوبة والصدق والصفاء والإخلاص والنقاء والرضا والعفو وكظم الغيظ والصبر والشكر والبر والإحسان والتقوى بما يقربه إلى الله.

وتبدأ هذه المشاعر الصافية النورانية توجهه إلى ماهو خير وفاضل وكريم .. توجهه إلى العفو .. وإلى الكرم .. وإلى الرحمة .. وإلى الارتقاء فوق الأحداث .. وإلى الصبر وإلى الشكر فيحمد الله كثيراً على الهُدى ونعمة الإيمان وغيرها من النعم التى أفاض الله بها عليه.

وختامًا أدعو الله أن يقبل حجنا، ويغفر ذنوبنا سالكين طريقه آملين رضاه ..ناشدين رحمته .. طامعين فى حبه مجتهدين مجاهدين فى سبيله .. راجين أن يهيئ لنا من أمرنا رشداً وخيراً ساعين إلى أن نتوج أنفسنا بأخلاقيات الحج وآدابه المستمدة من توجيهات الله عز وجل وسلوكيات رسول الله ﷺ.

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله.



تم بِحمد الله

كتب صدرت للمؤلفة

* أثر القرآن الكريم فى الأمن النفسى.
* الإسلام فطرة الخلق وشريعة الوجود.
* عيون لها نور من الله.
* معا قلبا وعقلا.
* مكان فى الجنة [رسالة إلى كل أب وأم].
* من نبع الدين والحياة.
* سلسلة الأطفال: علمتنى أمى:

- العدد الأول: علمتنى أمى كيف أصلى.
- العدد الثانى: علمتنى أمى آداب الصوم.



المراجع

القرآن الكريم

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

إبراهيم عبدالعزيز : الشعراوى فى رحاب الكعبة.

أحمد بهجت : الله فى العقيدة الإسلامية

أنبياء الله

الدكتور/ حسن الشرقاوى: الطب النفس النبوى.

نحو علم نفس إسلامى

الدكتور/ عبدالحليم محمود: الصلاة أسرار وأحكام

مع الأنبياء والرسل

الشيخ / عبدالقادر الجيلانى: الفتح الربانى والفيض الرحمانى

الدكتور/ عبدالله عبادة: غفار الذنوب لبيك

محمد حسين هيكل : حياة محمد

محمد شكرى : وفد الله

الدكتور/ محمد عثمان نجاتى: القرآن وعلم النفس

الإمام/ محمد متولى الشعراوى: الحج المبرور

مركز الأهرام للترجمة والنشر: الحج عبادة العمر



المحتويات



الموضوع	الصفحة



عمرة مقبولة؛ وحجاً مبروراً وذنباً مغفوراً، وسعياً مشكوراً

أنواع النسك

أولا: الإحرام

وهو بداية الدخول فى مناسك الحج أو العمرة حيث يلتزم الحاج بأعمال معينة، وهو نية أحد النسكين (العمرة أو الحج) أو نيتهما معًا، وهو ركن من أركان العمرة، والحج.

وبعد أن يصلى الحاج ركعتى سنة الإحرام (يقرأ فيهما سورتى الكافرون والإخلاص) ينوى الدخول فى مناسك الحج ويلبى النسك الذى يريد أداءه.

فإذا أراد الإحرام بالعمرة فلينو الإحرام بها وليقل **«لبيك عمرة» أو «لبيك اللهم بعمرة»** وإذا أراد الإحرام للحج قال **«لبيك بحج» أو «لبيك اللهم بحج»** وإذا أراد أن يجمع بين الحج والعمرة بإحرام واحد قال «لبيك بحج وعمرة» أو «لبيك اللهم بحج وعمرة».

ثم يبدأ التلبية التى لبى بها الرسول ﷺ:

«لبيك اللهم لبيك .. لبيك لاشريك لك لبيك .. إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك لبيك»

ثانيا: الطواف:

وهو يسمى طواف العمرة للمعتمر، وطواف القدوم للحاج والمفرد، وطواف العمرة للقارن والمتمتع.

وتحية الكعبة الطواف، والطواف سبعة أشواط تبدأه واقفا

من الدعاء المأثور

وعند وقوع نظرك على البيت تقول (اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة وزد على من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما وبرا أنت السلام، ومنك السلام فأحينا ربنا بالسلام)

نية الطواف:

إن النية محلها القلب ولكن لابد أن يعرف قلبك ماذا يقول

(اللهم إنى نويت طواف بيتك المعظم سبعة أشواط (عن نفسك أو عن غيرك) سبعة أشواط طواف العمرة أو طواف القدوم أو طواف الإفاضة (الحج) أو طواف تحية أو طواف تطوع أو طواف شكر (لختم القرآن مثلا) اللهم تقبل منى وأعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

من الأدعية المستحبة أثناء الطواف:

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم.

اللهم اجعله حجًا مبرورًا، وذنبًا مغفورًا وسعيا مشكورًا (وذلك فى الحج)

رب اغفر وارحم واعف عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم - اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

بحذاء الحجر الأسود قائلا:

«بسم الله، الله أكبر»

وتقول إذا حاذيت الركن اليمانى المقابل للحجر:

«ربنا آتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار».

ثالثا: السعى بين الصفا والمروة:

وكيفية السعى أن تتجه فى اتجاه جبل الصفا وتقول «بسم الله» وتبدأ بما بدأ به الله تعالى فى قوله الكريم:

﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ من شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة : ١٥٨)

وقل بقلبك قبل لسانك

«اللهم إنى نويت السعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط سعى العمرة لله عز وجل اللهم أعنى وتقبل منى»

ثم تصعد إلى الصفا وتقف وتنظر إلى الكعبة الشريفة (القبلة) تجعلها اتجاه صدرك وتقول (الله أكبر الله أكبر الله أكبر ولله الحمد)

وكلمة سعى معناها أسرع من المشى أما الهرولة فهى إسراع

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى.

ويستحب تلاوة القرآن الكريم أو الدعاء بأسماء الله الحسنى:

«ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها»

وذكر الله ثم الدعاء مما ينشرح به الصدر.

من الأدعية المستحبة عند السعى:

عند ارتقاء الصفا:

«لا إله إلى الله» ثلاثا

ثم تحمد الله ثم تقول:

«لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير»

لا إله إلا الله أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم تدعو بما تشاء، ثم تكرر ذلك ثلاث مرات ثم تأتى المروة وتفعل مثل ذلك فى كل شوط.

وأثناء السعى يستحب أن تقول:

رب اغفر وارحم واهدنى السبيل الأقوم

الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله العظيم بكرة وأصيلا

أنواع النسك

وتكون بين الميلين الأخضرين فقط وهى للرجال دون النساء وأثناء الهرولة تدعو بقولك:

(رب اغفر وارحم، واعف وتكرم، وتجاوز عما تعلم إنك تعلم مالا نعلم إنك أنت الله الأعز الأكرم)

والسعى يعتبر من الصفا إلى المروة شوط ثم العودة من المروة إلى الصفا شوط آخر وهكذا أى ينتهى الشوط السابع عند المروة.

وفى كل مرة سواء عند الصفا أو عند المروة تصعد على السفح وتتجه إلى الكعبة وتقول:

(الله أكبر الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد)

وتهبط إلى الوادى وتهرول بين الميلين الأخضرين

رابعا: المبيت بمنى يوم التروية (الثامن من ذى الحجة)

يستحب الإكثار من الدعاء والتلبية فى الطريق إلى منى وتصلى بها الظهر والعصر والمغرب والعشاء (وإذا كان اليوم جمعة، وأدركت وقت الصلاة تصلى الجمعة بمكة قبل الخروج إلى منى) ثم تبيت بمنى ولاتخرج منها حتى تشرق شمس التاسع من ذى الحجة ومن ترك شيئا من ذلك فقد ترك السنة ولاشىء عليه.

من الدعاء المأثور

اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى

رب اغفر وارحم إنك أنت الأعز الأكرم.

اللهم افتح لى أبواب رحمتك وأبواب فضلك.

اللهم اجعل فى قلبى نوراً، وفى سمعى نوراً، وفى بصرى نوراً، وفى لسانى نوراً، وعن يمينى نوراً، وعن شمالى نوراً، ومن فوقى نوراً، واجعل فى نفسى نورا، وعظم لى نوراً.

﴿رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى﴾.

أنواع النسك

خامسا: الوقوف بعرفة

وهو ركن الحج الأكبر والأساسى (يوم عرفة التاسع من ذى الحجة) ولا يصح الحج إلا به لحديث رسول الله ﷺ «الحج عرفة».

ويبدأ التوجه إلى عرفة بعد طلوع شمس التاسع من ذى الحجة (يوم عرفة) مع التكبير والتهليل والتلبية، ويستحب الاغتسال بمسجد نمرة (لمن استطاع) وصلاة الظهر والعصر جمعًا وقصرا.

ويبدأ وقت الوقوف بعرفة من زوال ظهر يوم التاسع من ذى الحجة وحتى طلوع فجر العاشر من أول أيام عيد الأضحى.

ويكفى الوقوف فى أى جزء من هذا الوقت إلا أن من وقف بالنهار وجب مد الوقوف إلى مابعد الغروب.

ويقصد بالوقوف بعرفة هو الحضور أو الوجود نائما أو يقظا أو راكبا أو ماشيًا أو قاعدًا أو مضطجعا.

وينصح الوقوف بأى مكان بعرفة ويستحب الوقوف عند الصخرات أو قريبا منها.

والوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم ومن فاته فلا حج له وعليه دم وعليه أن يحج فى العام التالى مباشرة.

من الدعاء المأثور

عند دخول عرفة:

اللهم إليك توجهت، وبك اعتصمت وعليك توكلت .

اللهم اجعلنى ممن تباهى به اليوم ملائكتك إنك على كل شىء قدير.

ويستحب تلاوة القرآن الكريم فى عرفة والإكثار من الذكر والتسبيح والحمد والدعاء بأسماء الله الحسنى.

من الأدعية المستحبة فى عرفة:

لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شىء قدير.

اللهم اجعله حجا مبرورًا وذنبًا مغفورًا وعملا صالحًا متقبلا.

اللهم اجعل خير عمرنا آخره، وخير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم أن نلقاك يارب العالمين.

اللهم إنى أسألك إيمانا واثقا ويقينا صادقا حتى أعلم أنه لايصيبنى إلا ما كتب علىّ ورضنى بقضائك وأعنى على الدنيا بالعفة والقناعة وعلى الدين بالطاعة، وطهر لسانى من الكذب، وقلبى من النفاق، وعملى من الرياء وبصرى من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور.

أنواع النسك	من الدعاء المأثور
	اللهم لاتدع لنا فى هذا الموقف العظيم ذنبًا إلا غفرته ولاعيبا إلا سترته ولا ميتا إلا رحمته ولاغائبا إلا أعدته ولا مريضا إلا شفيته ولا طالبا إلا نجحته. ربنا آتنا فى الدنيا حسنة، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، وصلى الله على رسولك ونبيك سيدنا محمد ﷺ. اللهم لاتجعل هذا آخر عهدنا بعرفات ولاتجعل هذا آخر عهدنا بالبيت الحرام ولاتجعل هذا آخر عهدنا بالأراضى المقدسة اللهم أعدنا مرات ومرات بفضلك وكرمك وإحسانك ورحمتك يا أرحم الراحمين ياحنان ـ يامنان ـ يا حنان. اللهم إنا ندعوك بكل مادعاك به حبيبك المصطفى ﷺ وعبادك الصالحون عند وقوفهم بعرفات ونستعيذ بك من كل ما استعاذ بك منه رسولك محمد ﷺ وعبادك الصالحون عند وقوفهم بعرفات. اللهم اغفر مافات واعصم فيما هو آت وارزقنا تقواك ـ اللهم إنا نسألك رزقا واسعا حلالا وقلبا خاشعًا ولسانا ذاكرا وعلما نافعا لا يُنسى وشفاء من كل داء وسقم. اللهم ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا اعف عنا، واغفر لنا، وارحمنا، ربنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. إنا لله وإنا إليه راجعون، إنا لله وإنا إليه راجعون

أنواع النسك

سادساً: المبيت بمزدلفة والوقوف بالمشعر الحرام:

يسن الإفاضة (الانصراف) من عرفة إلى المزدلفة بعد غروب شمس التاسع من ذى الحجة.

وفى المزدلفة تصلى المغرب والعشاء قصراً جمع تأخير، ثم تبيت بها حتى فجر العاشر فتصلى الفجر ثم تأخذ فى المسير حتى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فتقف فيه.

لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٩٩)﴾. [البقرة]

والمقصود بالوقوف الوجود على أى صورة واقفا أو قاعدا، سائرا أو نائما وذلك لأى فترة زمنية قبل فجر يوم العاشر.

ثم تجمع الجمرات وعددها سبعون حصوة على الأكثر الواحدة فى حجم حبة الفول (ويجوز جمعها من أى مكان آخر) ثم يفيض الناس (ينصرفون) إلى منى قبل طلوع الشمس من اليوم العاشر متوجهين إلى منى مكبرين وملبين.

من الدعاء المأثور

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا فسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين الحمد لله على فضل الله والشكر لله والحمد لله ذلك الفضل من الله والحمد لله رب العالمين.

من الأدعية المستحبة

اللهم كما أوقفتنا وأريتنا المشعر الحرام فوفقنا لذكرك كما هديتنا، واغفر لنا وارحمنا كما وعدتنا بقولك - وقولك الحق - فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام.

اللهم اغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا واعف عنا إنك سبحانك عفو تحب العفو فاعف عنا.

اللهم ارزقنى فى هذا المكان جوامع الخير كله. وأن تصلح شأنى كله وأن تصرف عنى الشر كله فإنه لايفعل ذلك غيرك ولايجود به إلا أنت.

أنواع النسك

سابعا: رمى حجرة العقبة فى يوم النحر (العاشر من ذى الحجة)

وبعد طلوع شمس العاشر ترمى جمرة العقبة (الجمرة الكبرى) بسبع حصيات. والجمرات موجودة فى منى، ويجوز تأخير الرمى إلى الليل لعذر، ويكره التأخير لغير عذر ولاشىء على من تأخر وتجوز الإنابة فى رمى الجمار لعذر من ضعف أو مرض.

ثامنا : ذبح الهدى:

وذلك واجب على القارن والمتمتع ومستحب للمفرد والمعتمر.

وتذبح الهدى بعد رمى جمرة العقبة لمن أمكنه ذلك، ويجوز تأخير الذبح لأى يوم من أيام التشريق (١١ ـ ١٣ ذو الحجة) ولاشىء على من تأخر. ومن فاته ذلك ذبح الهدى الواجب قضاء.

ولك أن تذبح فى أى مكان من منى أو مكة.

تاسعا: التحلل الأول بالحلق والتقصير:

وهو بعد جمرة العقبة ويستحب الحلق بالموس للرجل إلا أنه يجوز له التقصير فقط. وأما المرأة فيجزئ لها قص ثلاث شعرات على الأقل.

وبعد هذا التحلل يحل للمحرم كل شىء إلا النساء.

من الدعاء المأثور

ويدعو الحاج عند جمرة (العقبة الكبرى قائلا): «اللهم تصديقا بكتابك، واتباعا لسنة نبيك سيدنا محمد ﷺ، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا وسبحان الله العظيم بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لاشريك له، اللهم اجعله حجا مبرورًا وسعيا مشكورًا وذنبا مغفورًا.

أنواع النسك	من الدعاء المأثور
عاشرا: طواف الإفاضة (طواف الركن): ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج ٢٩] ويسمى أيضا طواف الزيارة وهو ركن من أركان الحج ومن لم يفعله بطل حجه. بعد التحلل الأول يعود المحرم إلى مكة ويطوف بالبيت كما طاف طواف القدوم. ويكره تأخيره لما بعد أيام التشريق (١١ ـ ١٣ ذو الحجة) ولاشىء على من تأخر. وبطواف الإفاضة يتم التحلل الثانى للمحرم وبعده يحل له كل شىء حتى النساء. **الحادى عشر: العودة إلى منى والمبيت بها:** وبعد التحلل الثانى يعود الحاج إلى منى فى يوم النحر ويبيت بها ليلتين أو ثلاثا على التخيير. والمبيت واجب ويلزم بتركه دم. **الثانى عشر: رمى الجمار:** وذلك فى أيام التشريق الثلاثة (الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من ذى الحجة) ويجوز عدم الرمى فى اليوم الثالث عشر والرمى واجب ويلزم بتركه دم.	وعند رمى الجمرات يبتهل الحاج إلى الله داعيا بالدعاء التالى: «الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبا مباركا فيه اللهم لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك اللهم إليك أفضت، ومن عذابك أشفقت، وإليك رغبت، ومنك رهبت، فاقبل نسكى، وأعظم أجرى، وارحم تضرعى، واقبل توبتى، وأقل عثرتى، واستجب دعوتى واعطنى سؤلى.

والرمى من الزوال إلى الغروب ويجوز تأخير الرمى إلى الليل لعذر.

والرمى بإحدى وعشرين حصاة كل يوم أى سبع حصيات لكل جمرة فى اليوم ويشترط الترتيب فى الرمى.

«الجمرة الأولى أى الصغرى ثم الجمرة الوسطى ثم جمرة العقبة، ويستحب التكبير والدعاء مع كل حصاة وأن تقول: «اللهم اجعله حجا مبرورًا وسعيًا مشكورا وذنبا مغفورًا».

الثالث عشر: طواف الوداع

يعود الحاج إلى مكة بعد الرمى وقبل غروب شمس الثانى عشر (أو الثالث عشر) على التخيير ليطوف طواف الوداع. وطواف الوداع هو آخر مايفعله الحاج فى مكة إلا أن يقضى حاجة أو يشترى طعامًا.

وطواف الوداع واجب، ومن تجاوز الميقات ولم يطف وجب عليه دم.

اللهم ربنا تقبل منا، ولاتجعلنا مع المجرمين، وأدخلنا فى عبادك الصالحين يا أرحم الراحمين.

اللهم ربنا تقبل منا، وعافنا واعف عنا، اللهم أحينا مسلمين، وتوفنا مسلمين وألحقنا بالصالحين، اللهم إنى أدعوك خالصًا مخلصًا.

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله»

دعاء طواف الوداع:

الله دايم باق حى

الحمد لله على توفيق الله - والحمد لله ذلك الفضل من الله - ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.

اللهم إن كنت رضيت عنا فازدد عنا رضا وإن كنت غضبت علينا فسامحنا واعف عنا ياعفو فنحن نهفو وعزتك تعفو،

اللهم لاتجعل هذا آخر عهدنا ببيتك ولا آخر عهدنا بحرمك وأعدنا مرات ومرات ما حيينا.

«إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد»

اللهم اكتب لنا السلامة وأعدنا سالمين غانمين مغفورى الذنوب مستورى العيوب مستجابى الدعاء.

آيبون - تائبون - عابدون - حامدون - راكعون - ساجدون والحمد لله رب العالمين.

* يستحب طوال رحلة مناسك الحج والعمرة ذكر الله كثيرا وأفضل الذكر تلاوة القرآن الكريم، والتسبيح والتحميد والتكبير والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والدعاء بأسماء الله الحسنى.

الحج سلوك ومسئولية وخلق قويم .. وزينة الحج وجوهره هو الخلق والسلوكيات ولكل نسك من مناسك الحج آدابه وسلوكياته التى تضىء للحاج الطريق فى رحلة العمر الباقية وهذا ما سنوضحه فى الفصل الرابع (خلق الحج وآدابه).

الدعاء بأسماء الله الحسنى

قال الله سبحانه وتعالى: ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها:

هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلى الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوى المتين الولى الحميد المحصى المبدئ المعيد المحى المميت الحى القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوال المتعال البر التواب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغنى المغنى المانع الضار النافع النور الهادى البديع الباقى الوارث الرشيد الصبور.